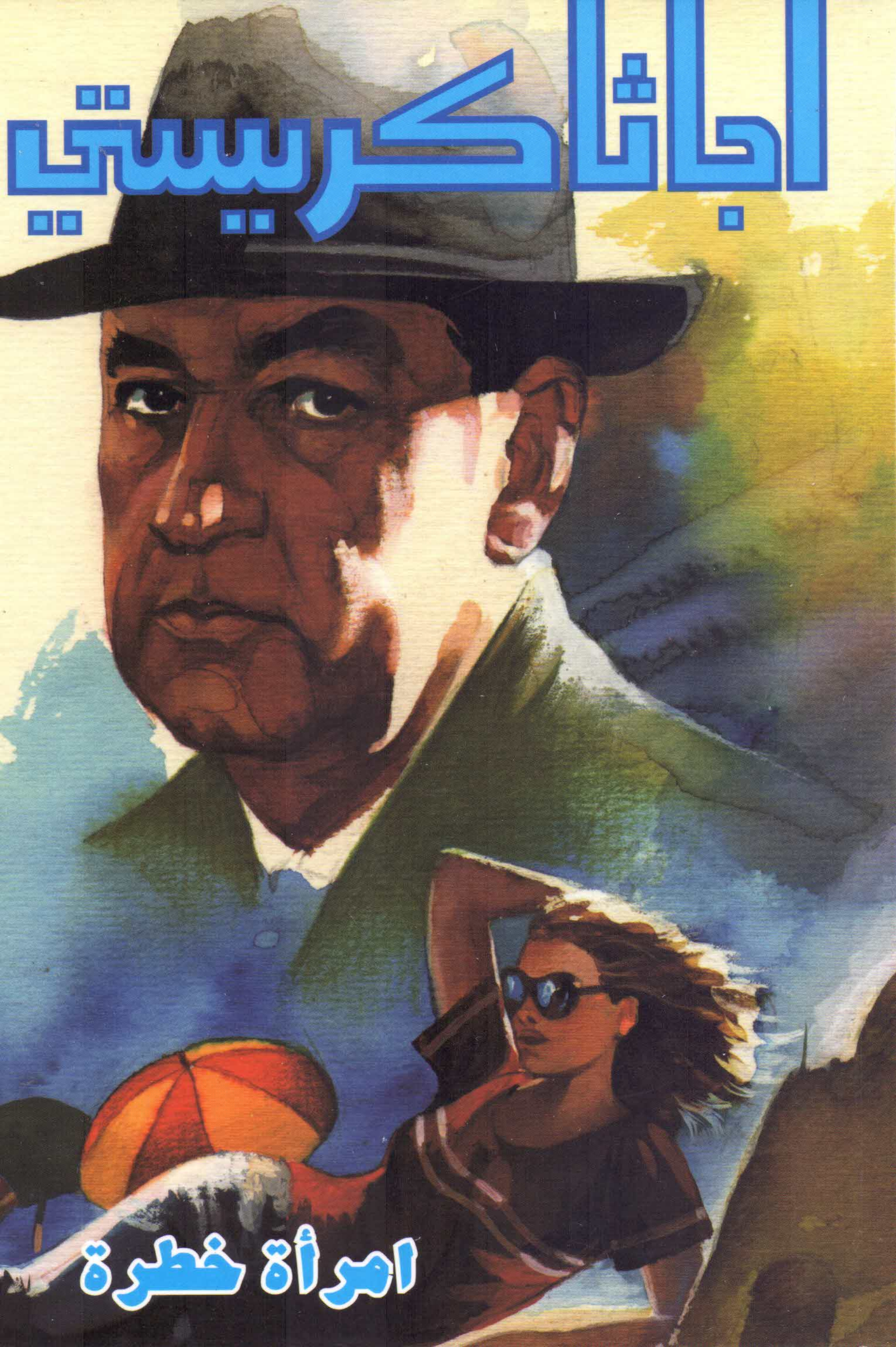

اجاثا كريستي
امرأة خطرة

أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

- بيع من كتبها أكثر من 900 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

امرأة خطرة

هذه الرواية ضمن مجموعة من القصص المختلفة، لها أحداثها المثيرة وشخصياتها المميزة، وكل قصة منها لها عقدتها الخاصة ولغزها المحيِّر.

وفي رواية «امرأة خطرة» تبدأ الأحداث بعبارة "سر التفاحة الثانية" وتنتهي بعبارة "سر الشال الإسباني"...

وسوف تجد - عزيزي القارئ - كيف كانت عصابة "باترسون" محور الأحداث، وكيف كان دورها في تغيير مجرى هذه الأحداث، وأيضا دورها في تحويل القصة من "سر التفاحة الثانية" إلى "سر الشال الإسباني"؟

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 995338400-2

9789953384009

امرأة خطرة

بونارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

امرأة خطرة
(07)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00   فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org   Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تاليف

Agatha Christie

الغلاف بريشة الفنان العالمي

عبد العال

امرأة خطرة

أهم الشخصيات :

- "**أنطوني إيستوود**" : كاتب قصصي
- "**فرناندو فيراريز**" : لاجئ إسباني
- "**كارمن فيراريز**" : ابنة "**فرناندو**"
- "**كونراد فليكمان**" : قاتل محترف
- عصابة "**باترسون**" (مكونة من رجلين وفتاة)
- "**درايفر**" : مفتش شرطة

- 1 -

نظر "**أنطوني إيستوود**" إلى سقف الغرفة ثم إلى أرضها، ثم تسللت نظرته ببطء إلى الجدار، وأخيراً جمع أطراف عزيمته ونظر إلى الآلة الكاتبة التي أمامه. كانت الورقة التي في الآلة بيضاء تماماً، إلا من سطر في أعلاها كُتب بحروف كبيرة. وتضمن هذه الكلمات:

"سرُّ التفاحة الثانية".

وشعر "**إيستوود**" بأن العنوان طريف، وخليق بأن يثير فضول من يقرؤه؛ حيث سيقول القارئ: تُرى ما سر التفاحة الثانية؟! لابد من أن أقرأ هذه القصة. ويشرع فوراً في قراءة القصة، ولا يلبث أن ينسى نفسه وما حوله في زحمة الأحداث المثيرة المشوقة التي أجاد في حبكها، وتفوق على نفسه في سردها، بأسلوبه الرشيق. الكاتب البارع، "**أنطوني إيستوود**"، أشهر مؤلفي القِصص البوليسية. نعم، سوف يذهل القارئ حين يرى أية قصة رائعة استطاع المؤلف أن ينسج خيوطها حول ثمرة محببة مألوفة مثل ثمرة التفاح.

كل هذا حسن، ولكن المشكلة هي أن "**إيستوود**" نفسه لم يعرف ماهية القصة التي يريدها، ولا كيف تبدأ أو كيف تنتهي. إن أهم شيئين في أية قصة، هما العنوان والعقدة.. أما ما عدا ذلك فسيكون عبارات وصفية، ورسم شخصيات، وحوار. وفي بعض الأحيان، يوحي العنوان بالعقدة، فتسهل مهمة الكاتب، ولكن عنوان هذه القصة (سرُّ التفاحة الثانية) لا يوحي بأية عقدة. ومرة أخرى، راح "**أنطوني إيستوود**" يستوحي السقف والأرض والجدران، لكن دون جدوى. قال لنفسه في محاولة أخيرة لتنشيط ذهنه:

"سأطلق على بطلة القصة اسم "**سونيا**" أو "**دولوريس**"، وسأجعل لها بشرة بيضاء كالعاج، وعينين زرقاوين كماء بحيرة لا قرار لها، أما البطل، فسأجعل اسمه "**جورج**" أو "**جون**"، فمن الأوفق دائما أن يكون الاسم قصيرا لكي يعلق بذهن

القارئ. وما دام اسم القصة (سرُّ التفاحة الثانية)، فلابد أن تكون هناك حديقة وبستاني، ولا بأس بأن يكون البستاني رجلا اسكتلنديا متقدما في السن، يميل إلى التشاؤم".

*****

كانت طريقة "**إيستوود**" في رسم الشخصيات على هذا النحو تنجح في بعض الأحيان، ولكنها في ذلك اليوم لم تثمر مطلقًا. لقد كانت شخصيات "**سونيا**" و"**جورج**" والبستاني واضحة أمامه، ولكنها شخصيات جامدة لا تريد أن تنشط أو تتحرك.

*****

ونهض "**إيستوود**"، وتناول جريدة (الديلي ميل) وراح يتصفحها. إن بعض الأحداث وجرائم القتل كثيرا ما توحي للمؤلفين بموضوعات جيدة لقصصهم، ولكن الأنباء في ذلك اليوم كانت كلها سياسية، وخارجية. فألقى "**إيستوود**" بالجريدة في سخط. وتناول كتابا، أي كتاب، وأغمض عينيه، وفتح الكتاب، ووضع أصبعه على الصفحة، ثم فتح عينيه. كانت الكلمة التي أوقعها القدر تحت إصبعه هي كلمة "خراف". وفي الحال تفتق عقله الخصيب عن فكرة مذهلة لقصة عجيبة، حيث فتاة رائعة الجمال، قُتل حبيبها في الحرب، فاختل عقلها، وشردت في الجبال، حيث راحت ترعى الخراف، وذات ليلة، تحت ضوء القمر، أخذت تناجي حبيبها، فإذا بشبحه يبدو لها من بعيد ويقبل نحوها، وفي الصباح يجد الرعاة جثة الفتاة مسجاة فوق الجليد، وحولها آثار قدمين أكبر حجما من قدميها.. قصة جميلة.. تتيح للكاتب المرهف الحس أن يتغنى بروعة الحب وجمال الطبيعة، لكن...

قطب "**إيستوود**" ما بين حاجبيه وهز رأسه بحزن. كان يعلم أن الناشر لا يحب هذا النوع من القصص على الرغم مما فيه من جمال. إن القصة التي يريدها الناشر ويدفع فيها أجرًا سخيًّا هي التي تكون بطلتها فتاة جميلة غامضة، يُعثر عليها مطعونة بخنجر، ويُتهم البطل الشاب الوسيم بقتلها، ثم يزول الغموض فجأة وتظهر الحقيقة، فإذا القاتل شخص لا يخطر للقارئ ببال. وإذا الدليل شيء بسيط جدا كالتفاحة الثانية مثلا.

*****

وقال "**إيستوود**" لنفسه وهو مسترسل في التفكير:

"ومع ذلك فإنني أراهن على أن الناشر سوف يستبدل بعنوان (سرُّ التفاحة الثانية) عنوانًا آخر سخيفًا مثل (الجريمة الغامضة) أو (الجريمة الفظيعة).. دون أن يكلف نفسه عناء الاتصال بي واستطلاع رأيي". وعندما وصل "**إيستوود**" بتفكيره إلى هذا الحد، دقَّ جرس التليفون فقال ساخطًا:

– قبَّح الله هذه الآلة اللعينة.. كان التليفون قد دقَّ مرتين في خلال الساعة الأخيرة، فقطع عليه حبل تفكيره. في المرة الأولى كان الرقم خطأ، وفي المرة الثانية كانت المتحدثة إحدى فراشات المجتمع، وقد دعته لتناول العشاء، وألحَّت عليه إلحاحًا شديداً فاضطر إلى قبول الدعوة على الرغم من كراهيته لصاحبتها. وتناول "**إيستوود**" السماعة وهتف:

– نعم. وسمع من الطرف الآخر صوت امرأة تتكلم بلكنة أجنبية. قالت:

– أهذا أنت أيها الحبيب؟ فأجاب بحذر:

– أنا!.. لا أعلم.. من أنت؟

– أنا "**كارمن**". أصغ إليَّ أيها الحبيب.. إنهم يطاردونني وأنا في خطر.. يجب أن تحضر فوراً.. المسألة الآن مسألة حياة أو موت. فقال بأدب:

– معذرة يا سيدتي.. يبدو أنك قد أخطأت الرقم.. فأنا... ولكنها قاطعته

بسرعة، ولم تدعه يتم عبارته. هتفت:

- يا إلهي! إنهم قادمون.. وإذا علموا أنني اتصلت بك فسيقتلونني.. تعال بسرعة.. سيقتلونني إذا لم تأت. أنت تعرف العنوان: رقم 320 شارع "**كيرك**"، وكلمة السر هي (التفاحة)... صه..، وانتهى الحديث بغتة، فوضع "**إيستوود**" السماعة وهو مشدوه، ثم تناول علبة ثقاب وراح يشعل غليونه ببطء وهو يفكر. قال لنفسه:

"تُرى هل سمعتُ جيداً؟ وهل نطقتْ بكلمة (تفاحة)؟ أم أن ذلك من فعل العقل الباطن؟" ثم راح يمشي في الغرفة جيئة وذهابا ويحدث نفسه بقوله:

"رقم 320 شارع "**كيرك**"! تُرى ما معنى ذلك؟ لابد من أنها الآن تنتظر الشخص الذي ظنت أنها تحدثت إليه.. آه.. ليتني أوضحت لها خطأها. كلمة السر هي (التفاحة).. لكن ذلك مستحيل أن يكون هلوسة عقل مكدود". ثم نظر إلى الآلة الكاتبة بحقد وقال:

- أريد أن أعرف ما فائدتك.. إنني أنظر إليك منذ الصباح على غير طائل.. إن المؤلف يجب أن يستوحي قصصه من الحياة.. هل سمعت؟ وذلك ما سأفعله الآن.

وتناول قبعته ونظر بحب وإعزاز إلى التحف الثمينة التي تزين شقته، والتي دفع آلاف الجنيهات ثمنا لها، ثم خرج وسار توًّا في الطريق إلى شارع "**كيرك**". وشارع "**كيرك**"، كما يعرف أهل "**لندن**"، يعد من أطول شوارع العاصمة البريطانية، وتقع فيه أهم متاجر التحف، وحوانيت بيع المصنوعات الزجاجية والنحاسية والملابس القديمة. ووجد "**إيستوود**" أن رقم 320 هو حانوت لبيع الأدوات والتحف الزجاجية، وكانت المعروضات تملأ المكان وتتدلى من السقف، فاضطر "**إيستوود**" إلى أن يتوخى الحذر الشديد وهو يسير بداخله للوصول إلى امرأة عجوز تجلس في آخره، ونظرت إليه المرأة من قمة رأسه إلى أخمصي قدميه. وقالت بصوت أجش:

- هل تريد شيئا؟ وأحس الشاب بالحرج، ونظر إلى بعض الكؤوس، وسأل عن ثمنها فأجابته المرأة:

– هذه مجموعة من ست كؤوس ثمنها خمسة وأربعون شلنا.

– إنها رائعة حقًّا.. وهذه الآنية، كم ثمنها؟

– هذه آنية قديمة من منتجات (ووتر فورد).. وثمنها تسعة جنيهات. وكانت العجوز ترقبه بعينين كعيني الصقر، فأحس بأنه يوشك أن يتورط في شراء شيء لا يحتاج إليه.. ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يتشدد ويغادر الحانوت. قال وهو يشير إلى شمعدان جميل:

– وكم ثمن هذا؟

– خمسة وثلاثون جنيهًا.

– إنه باهظ الثمن، وهذا المبلغ فوق طاقتي. فقالت العجوز:

– ماذا تريد بالتحديد؟ هل تريد شيئا تقدمه كهدية زواج؟ تردد قليلاً ثم قال:

– نعم.

– حسنًا.. إليك آنية للشراب فهي في ذاتها تحفة ثمينة، وهذه الصِّحاف. ولم تمض بضع دقائق حتى كانت العجوز قد حاصرته تمامًا. ووضعت أمامه من التحف والأدوات الزجاجية كل ما يمكن أن يخطر ببال. وكان يردد:

– جميل! رائع! ثم سألها فجأة:

– هل لديكم تليفون؟

– كلا.. لكن يوجد تليفون في مكتب البريد المقابل. والآن.. هل تريد هذه الصِّحاف الجميلة؟ ولم تكن لـ "**أنطوني إيستوود**" براعة النساء في فن الخروج من المتاجر دون شراء شيء، ولهذا اختار أهون الشرور، قال:

– بل أريد آنية الشراب. وكانت الآنية هي أرخص التحف التي عرضت عليه، فدفع ثمنها وقلبه مفعم بالمرارة. وبينما كانت المرأة تحزم الآنية، تشجع "**إيستوود**" فجأة وقرر أن ينطق بكلمة السر.. إن أسوأ ما ستظنه العجوز، إذا لم تستجب لكلمة السر، هو أنه إنسان غريب الأطوار، لكن لتظن ما تشاء. قال في ثبات ووضوح:

– التفاحة. فكفت العجوز عن حزم الآنية وقالت:

– ماذا قلت؟ فكذب بجرأة. وقال:

– لم أقل شيئا.

– يخيل إليَّ أنك قلت (تفاحة).

– هذا صحيح.

– لماذا أضعت الوقت سدى؟ لماذا لم تقل ذلك منذ البداية؟ إنها هناك في انتظارك. وأشارت إلى باب في آخر الحانوت، فمشى إليه "**إيستوود**" وكأنه في حلم. وكان الباب مغلقًا ففتحه وصعد درجًا قذراً ينتهي بباب يؤدي إلى قاعة استقبال صغيرة، ورأى "**إيستوود**" فتاةً تجلس في صدر القاعة، وعيناها تنظران إلى الباب، وعلى وجهها دلائل القلق والترقب. كانت فتاة رائعة الجمال، لها بشرة عاجية كتلك التي طالما تخيلها لبطلات قصصه، وعينان سوداوان واسعتان فيهما سحر وغموض. كان من الواضح أنها ليست إنجليزية، فكل شيء فيها، حتى بساطة ثيابها، يوحي بأنها أجنبية.

ووقف "**إيستوود**" عند الباب مذهولاً ومبهوراً. مرت لحظات أحس بعدها بأن الموقف يحتاج إلى تفسير وإيضاح، وأن هذه مهمة الفتاة لا مهمته هو، ولكن الفتاة أطلقت صيحة فرح وسرور، وألقت بنفسها بين ساعديه. وهي تهتف:

– هانت قد جئت أخيراً.. حمداً لله. ولم يكن "**أنطوني إيستوود**" الرجل الذي يدع مثل هذه الفرصة تفلت من يده، فضم الفتاة إليه، وأحس بدفء صدرها ونضجه. وأخيرا، بعدت الفتاة عنه قليلا، وقالت وهي تنظر إليه بخجل ساحر:

– لقد كدت لا أعرفك..

– أحقًّا؟!

– إن عينيك تبدوان مختلفتين.. أنت أكثر وسامة عشرات المرات مما تخيلتك.

فابتسم ولم يجب، ولكنه كان يقول لنفسه:

"تجلد يا بني وتذرع بالهدوء.. إن الموقف يتطور تطوراً رائعًا.. لكن لا تفقد اتزانك". قالت الفتاة:

– هل أستطيع أن أُقَبِّلك مرة أخرى؟

– بكل تأكيد تستطيعين.. وبأي عدد من المرات شئت. وكانت اللحظات التالية من أجمل ما مرَّ بها "**إيستوود**" طول حياته، ولكنه راح يقول لنفسه:

"ترى من حسبتني هذه الفاتنة؟ أسأل الله ألا يأتي فتاها الحقيقي فجأة". وفجأة، تراجعت الفتاة وقالت وقد ارتسم الرعب على وجهها:

– هل تبعك أحد إلى هنا؟

– كلا.. لا أظن ذلك.

– إنهم على جانب كبير من الخبث والدهاء، وأنت لا تعرفهم كما أعرفهم.. وخاصة "**موريس**".. إنه شيطان مريد.

– اطمئني.. فسأصفي الحساب مع "**موريس**".

– أنت بطل.. أما هم فإنهم أوغاد.. كلهم أوغاد.. أصغ إليَّ.. إنه معي.. ولو علموا ذلك لفتكوا بي.. لقد تملكني الفزع فلم أدر ماذا يجب أن أفعل. ثم خطرت أنت ببالي... صه.. ما هذا؟

كان الصوت الذي سمعاه منبعثًا من الحانوت، فوضعت الفتاة إصبعها على شفتيها محذرة، وأومأت إليه أن يبقى حيث هو، ثم سارت على أصابع قدميها حتى وصلت إلى الباب، وأطلت منه ثم عادت إليه فوراً بوجه شاحب وعينين تتألقان. همست قائلة:

– يا إلهي! إنهم رجال البوليس، وسيأتون إلى هنا.. هل معك خنجر أو مسدس؟

– يا فتاتي العزيزة.. هل تتوقعين مني حقًّا أن أقتل أحد رجال البوليس؟

– أنت مجنون.. مجنون.. إنهم سيقبضون عليك وسيشنقونك.. فقال وقد

بدأ يشعر بالقلق :

– ماذا سيفعلون بي؟! وارتفع صوت وقع الأقدام على درج السلم. فهمست الفتاة :

– ها هم قادمون.. أنكر كل شيء.. ذلك هو الأمل الوحيد. فتمتم "**إيستوود**" قائلا :

– الإنكار أمر سهل.. فاطمئني.. وفي اللحظة التالية، دخل الغرفة رجلان في ثياب مدنية، ولكن ملامحهما وحركاتهما تدل على أنهما من الرسميين المدربين. وتكلم أقصرهما قامة، قال موجهًا الكلام إلى "**إيستوود**" :

– "**كونراد فليكمان**".. إنني أقبض عليك بتهمة قتل السيدة "**آنا روزنبرج**".. وكل ما ستقوله سيكون دليلاً ضدك.. إليك أمر الاعتقال.. وخير لك أن تأتي معنا بهدوء. وهنا أفلتت من فم الفتاة صيحة ذعر، بينما تقدم "**إيستوود**" خطوة إلى الأمام وهو يبتسم وقال بهدوء :

– أنت مخطئ أيها الضابط.. فأنا أدعى "**أنطوني إيستوود**". فلم يبد على الشرطيين أنهما أقاما وزنًا لهذا الكلام، وقال أحدهما، وهو الذي لم يتكلم من قبل :

– سنتحدث في ذلك فيما بعد.. أما الآن فعليك المجيء معنا. فصاحت الفتاة بيأس :

– "**كونراد**".. "**كونراد**" لا تدعهما يأخذانك. فالتفت "**إيستوود**" إلى الشرطيين وقال :

– هل تسمحان لي بأن أودع هذه الصبية؟ ولشد ما كانت دهشته، حين وجدهما أكثر أدبًا ورقة مما توقع، فقد انسحبا نحو الباب ووقفا هناك في الانتظار. وانتحى "**إيستوود**" بالفتاة ناحية بجوار النافذة، وقال لها بسرعة، وبصوت خافت :

– أصغي إليَّ، إن ما قلته صحيح، وأنا لست "**كونراد فليكمان**". لابد من أن

من أعطاك رقم تليفون "**فليكمان**" قد أخطأ.. فأنا أدعى "**أنطوني إيستوود**"، وقد جئت تلبية لاستغاثتك. فنظرت إليه كمن لا يصدق ما سمع وقالت:

– أنت لست "**كونراد فليكمان**"؟

– كلا. وصاحت الفتاة بيأس:

– يا إلهي! إنني قبلتك.

– لا بأس بذلك.. والآن.. أصغي إليَّ. إنني سأذهب مع هذين الرجلين، وسأثبت لهما حقيقة شخصيتي، وفي خلال ذلك لن يزعجك أحد، وسيكون بمقدورك أن تتصلي بصديقك العزيز "**كونراد**"، وتحذريه مما يراد به. وبعد ذلك...

– نعم؟

– لا شيء.. إن رقم تليفوني هو (1743 نورث ويسترن).. وحذار أن تخطئي فيه. فرمقته بنظرة ساحرة، نصفها دموع ونصفها ابتسام. وقالت:

– كلا.. لن أخطئ.. أؤكد لك أنني لن أخطئ.

– هذا حسن.. وداعًا إذن ألا يمكن أن...

– نعم؟

– ألا يمكن أن نفترق كما تلاقينا؟ فأحاطت عنقه بساعديها.. ومست شفتيه بشفتيها، وهمست قائلة:

– إنني أحبك! نعم.. أحبك.. فهل ستتذكر ذلك مهما حدث؟ وتخلص منها "**إيستوود**" على كره منه، وقال للشرطيين:

– هأنذا على استعداد. لا شك في أنكما لا تريدان اعتقال هذه السيدة أيضًا؟ فقال الشرطي القصير القامة بأدب:

– كلا يا سيدي. وقال "**إيستوود**" لنفسه وهو يهبط معهما درج السلم الضيق: «حقًّا.. إنهما أظرف من قابلت من رجال "**اسكتلنديارد**"». ولم ير

"**إيستوود**" أثرا للمرأة العجوز، ولكنه سمع أنفاسا تلهث خلف إحدى الستائر. فأدرك أنها توارت هناك لترقب الأحداث.

*****

وما إن خرجوا إلى الشارع حتى تنفس "**إيستوود**" الصعداء. وقال يحدث أقصر الرجلين قامة:

– والآن أيها المفتش.. أنت مفتش بوليس، ألست كذلك؟

– نعم يا سيدي.. المفتش "**فيرال**"، وهذا زميلي المفتش "**كارتر**".

– والآن أيها المفتش "**فيرال**"، لقد آن لنا أن نتكلم بعقل، وننصت بعقل أيضا.. أنا لست "**كونراد فليكمان**".. أنا أدعى "**أنطوني إيستوود**" كما سبق أن ذكرت، ومهنتي مؤلف، وإذا رافقتني إلى شقتي فسأثبت لك حقيقة شخصيتي. وكان يتكلم بثبات واطمئنان، كلام الواثق بصدق ما يقول. فبدت على "**فيرال**" دلائل التردد. ونظر إلى زميله كأنما ليستطلع رأيه. ولكن "**كارتر**" كان أكثر صلابة وأقل اقتناعا. فقال يحدث "**إيستوود**":

– هل نسيت أن الفتاة دعتك باسم "**كونراد**"؟

– هذه قصة أخرى، ولكني أقول لكما بصراحة إن هناك أسبابا خاصة حملتني على مقابلة الفتاة باسم "**كونراد**".. فقال "**كارتر**":

– دعنا من هذه القصص يا سيدي.. وهلم بنا.. استوقف سيارة الأجرة هذه يا "**فيرال**". وأوقف "**فيرال**" السيارة، وصعد إليها الرجال الثلاثة. وقام "**إيستوود**" بمحاولة أخيرة فقال محدثا "**فيرال**"، الذي خُيِّل إليه أنه أكثر الرجلين مرونة:

– أصغ إليَّ يا عزيزي المفتش.. ماذا يضيرك إذا ذهبت معي إلى شقتي لنرى ما إذا كنت قد قلت الحقيقة؟ دع السيارة تنتظرنا إن شئت.. فإن الأمر لن يستغرق أكثر من خمس دقائق. فتفرس "**فيرال**" في وجهه، ثم قال بغتة:

– حسنا، إنني أوافق. وقد يبدو ذلك غريبا، ولكني أعتقد أنك صادق. وأنا لا أريد أن نكون أضحوكة في مركز البوليس باعتقال شخص غير المطلوب اعتقاله.. ما عنوان شقتك؟

– 48 شارع "**براندنبرج**". فأصدر "**فيرال**" أمره إلى سائق السيارة بالتوجه إلى هذا العنوان. وساد الصمت بين الرجال الثلاثة إلى أن وقفت السيارة أمام بيت "**إيستوود**"، فوثب منها "**فيرال**" وأشار إلى "**إيستوود**" أن يتبعه وقال:

– لا أريد أن تحدث أية ضجة أو متاعب.. سنذهب معك كما لو كنا صديقين دعوتهما إلى شقتك. فشكره "**إيستوود**" وارتفعت قيمة رجال المباحث الجنائية في نظره عشرات المرات. ومن حسن الحظ أنهم ما كادوا يدخلون العمارة حتى وجدوا البواب أمامهم فتوقف "**إيستوود**" وقال يحييه:

– طاب مساؤك يا "**روجرز**". فأجاب البواب باحترام:

– طاب مساؤك يا سيد "**إيستوود**". وكان البواب يحبه لكرمه وسماحته، فسار "**إيستوود**" بضع خطوات نحو درج السلم ثم تمهل وقال:

– بهذه المناسبة يا "**روجرز**".. منذ متى وأنا أقيم في هذا المنزل؟ لقد كنت أتحدث مع هذين الصديقين في هذا الموضوع. ففكر "**روجرز**" قليلا ثم أجاب:

– منذ أربعة أعوام تقريبا يا سيد "**إيستوود**".

– هكذا ظننت.. شكرا لك يا "**روجرز**". ونظر إلى الشرطيين نظرة المنتصر، فقلب "**كارتر**" شفتيه، وابتسم "**فيرال**" وقال:

– هذا حسن، ولكنه لا يكفي. هل سنصعد إلى شقتك؟ وصعدوا، وفتح "**إيستوود**" الشقة بمفتاح معه.. وحمد الله على أن ذلك اليوم، كان يوم إجازة خادمه "**سيمارك**".. فإنه كلما قل عدد شهود هذه الكارثة كان ذلك أفضل.

*****

كانت الآلة الكاتبة في مكانها كما تركها، فاقترب منها "**كارتر**" وقرأ العنوان

المكتوب في الورقة:

– "سرُّ التفاحة الثانية". فقال "**إيستوود**" بقلة اكتراث:

– هذا عنوان القصة التي شرعت في كتابتها. فلمعت عينا "**فيرال**" وقال:

– هذه نقطة أخرى في مصلحتك يا سيدي.. وبالمناسبة، ما موضوع هذه القصة، وما سرُّ التفاحة الثانية؟

– ليتني أعرف!!! إن التفاحة الثانية هي مصدر المتاعب.. لكن هلم بنا إلى العمل.. ها هي رسائل موجهة إليَّ وعليها اسمي وعنواني.. وهذا دفتر شيكات باسمي، وهذه خطابات مرسلة إليَّ من بعض الناشرين.. فماذا تريدان أكثر من ذلك؟ ففحص "**فيرال**" الأوراق والرسائل التي قدمها إليه "**إيستوود**" ثم قال باحترام:

– أنا شخصيًّا مقتنع يا سيدي. ولا أريد أكثر من ذلك، ولكن الأمر ليس كله بيدي، ولا أستطيع وحدي الاضطلاع بمسؤولية إطلاق سراحك؛ إذ يحتمل أن تكون قد أقمت في هذه الشقة بضع سنين باسم "**أنطوني إيستوود**"، وأن يكون "**إيستوود**" و"**كونراد فليكمان**" شخصًا واحدًا.. يجب أن أفتش الشقة تفتيشًا دقيقًا، وأن أحصل على بصماتك وأتصل بالإدارة.

– هذا كلام معقول، ولا مانع عندي من أن تبحث كما تشاء عن أية أسرار تعتقد أنني أخفيها. فابتسم المفتش وقال:

– هل لك أن تذهب مع "**كارتر**" إلى الغرفة الأخرى ريثما أقوم بالتفتيش هنا؟

فتردد "**إيستوود**" قليلا ثم قال:

– حسنا.. لكن ألا ترى أن من الأفضل أن نفعل العكس؟

– ماذا تعني؟

– أعني أن تذهب أنت معي إلى الغرفة الأخرى حيث نتناول قدحا من الشراب ريثما يقوم المفتش "**كارتر**" بمهمة التفتيش.

– هل تفضل ذلك يا سيدي؟

– بالتأكيد.

*****

وتركا "**كارتر**" يفتش أدراج المكتب، وسمعاه عندما غادر الغرفة وهو يتصل تليفونيا بـ "**اسكتلنديارد**". وسكب "**إيستوود**" الشراب في قدحين قدم أحدهما إلى المفتش "**فيرال**" وقال وهو يرفع قدحه إلى شفتيه:

– هل أشرب أولاً لكي تطمئن إلى أن الشراب ليس مسمومًا؟ فابتسم "**فيرال**" وقال:

– إن كل ما فعلته معك اليوم ينطوي على مخالفة للتعليمات والنظام.. ولكن ممارستنا لهذه المهنة طوال السنين قد علمتنا بعض الأشياء.. إنني أدركت منذ البداية أننا على خطإ.. ولكن الإجراءات الرسمية يجب أن تتبع.. وإلا تعرضنا للمؤاخذة.. أليس كذلك؟

– نعم، وهذا أمر يؤسف له.. لكن يخيل إليَّ أن زميلك السيد "**كارتر**" يفتقر إلى مرونتك.

– إن المفتش "**كارتر**" رجل دقيق وكفء. ومن المتعذر خداعه، أو إقناعه بالتهاون في عمله.

– ذلك ما لاحظته.. وبهذه المناسبة يا سيدي المفتش، هل لديك مانع من أن تسمعني شيئا عن نفسي؟

– ماذا تعني؟

– ألا ترى أن الفضول يكاد يقتلني؟ ما القصة كلها؟ ومن "**آنا روزنبرج**" التي تعتقدون أنني قتلتها؟

– ستقرأ عن كل ذلك في الصحف غداً يا سيدي.

– من يعلم أين سأكون غداً أيها المفتش! يجب أن تعترف بأن لي كل الحق في أن أشعر بالفضول.. دع هذا الصمت الرسمي جانبا واسرد عليَّ القصة كلها.

– هذا مخالف للتعليمات يا سيدي.

– يا عزيزي المفتش.. أتقول ذلك بعد أن أصبحنا صديقين؟

– حسنًا يا سيدي.. إن "**آنا روزنبرج**" امرأة من أصل ألماني، كانت تقيم في "**هامبستيد**"، وعلى الرغم من أنه لم يكن لها مصدر رزق معروف، فإنها كانت تزداد ثراء عامًا بعد عام. فقال "**إيستوود**":

– أنا على العكس منها تمامًا.. لي مصدر رزق معروف ولكنني أزداد فقرًا عامًا بعد عام.. ولعله كان من الأفضل لي أن أقيم في "**هامبستيد**"، فقد سمعت أن أهلها محظوظون. فتابع "**فيرال**" حديثه قائلاً:

– وفي وقت ما، اشتغلت "**آنا روزنبرج**" بتجارة الملابس القديمة... فقاطعه "**إيستوود**" قائلاً:

– هذا يوضح كل شيء.. أذكر أن أول وآخر اتصال لي بتجارة الملابس القديمة.. كان يوم أن قررت بيع ملابسي العسكرية عقب الحرب العالمية الثانية.. كانت الملابس والقبعات والميداليات العسكرية مبعثرة في الشقة وجاء رجل بدين في سيارة "**رولزرويس**"، ونظر إلى الملابس وقدَّر ثمنها بمبلغ جنيه واحد وعشرة شلنات، ولما أضفت إلى المعروضات معطفًا ومنظار ميدان، أضاف إلى الثمن جنيهًا آخر، وأخرج من محفظته الضخمة ورقة مالية فئة العشرة جنيهات وطلب الباقي.. ومضى المفتش في سرد قصة "**آنا روزنبرج**"، فقال:

– منذ عشرة أعوام، كان في "**لندن**" عدد كبير من اللاجئين السياسيين الإسبان، وكان بين هؤلاء اللاجئين رجل يدعى السيد "**فرناندو فيراريز**"، ومعه زوجته الشابة وابنته.. كانوا معدمين، وكانت الزوجة مريضة، فذهبت "**آنا روزنبرج**" لزيارتهم حيث يقيمون. وسألتهم عما إذا كان لديهم شيء يودون

بيعه.. ولم يكن السيد "**فرناندو**" بالبيت في تلك اللحظة، فقررت الزوجة أن تبيع شالا إسبانيًّا عجيبا مزركشا بطريقة مدهشة، كان آخر هدايا زوجها إليها قبل فرارهما من "**إسبانيا**". ولما عاد السيد "**فرناندو**" إلى البيت، ثار ثورة عارمة عندما علم أن زوجته باعت الشال، وحاول عبثا أن يسترده. وعندما نجح أخيرا في العثور على "**آنا روزنبرج**"، سألها عن الشال. فقالت إنها باعته لامرأة لا تعرف اسمها. واستولى اليأس على السيد "**فرناندو**".. وبعد شهرين، وجِدَ مطعونا بخنجر في أحد الشوارع، ومات قبل نقله إلى المستشفى. ومنذ ذلك اليوم، ظهرت على "**آنا روزنبرج**" دلائل الثراء الفاحش، في خلال السنوات العشر الأخيرة، سطا اللصوص على بيتها في "**هامبستيد**" أكثر من ثماني مرات. فشل اللصوص في أربع منها في الاستيلاء على شيء. وفي المرات التالية، نجحوا في سرقة بعض الأشياء الثمينة ومن بينها الشال الإسباني... صمت المفتش لحظة، وتوسل إليه "**إيستوود**" بعينيه أن يستمر في الحديث، فقال:

– ومنذ أسبوع، عادت "**كارمن فيراريز**"، ابنة السيد "**فرناندو**" إلى "**لندن**" قادمة من "**فرنسا**"؛ حيث كانت في أحد الأديرة، وكان أول ما فعلته أنها ذهبت للبحث عن "**آنا روزنبرج**" في "**هامبستيد**". ولما قابلتها، دار بينهما حوار طويل، وكانت الفتاة في منتهى الغضب والعنف وقد سمعها أحد الخدم تقول للعجوز قبل انصرافها:

– إنه ما زال عندك، وكان مصدر ثرائك طوال هذه السنين، ولكني أقول لك الآن.. إنه سيجلب عليك النحس والشقاء في النهاية؛ لأنك تحتفظين به بغير حق.. وسوف يأتي يوم تتمنين فيه لو أن بصرك لم يقع قط على الشال ذي الألف زهرة.. وبعد هذه المقابلة بثلاثة أيام، اختفت الفتاة بطريقة غامضة من الفندق الذي كانت تقيم فيه، ووجدت في غرفتها قصاصة من الورق ورسالة، أما قصاصة الورق فكان عليها اسم "**كونراد فليكمان**"، وأما الرسالة فكانت من تاجر تحف يسألها فيها

عما إذا كانت على استعداد لأن تبيعه شالاً مزركشا يعتقد أنه في حوزتها.. وذُكِر في الرسالة اسم وعنوان أثبت البحث أنهما زائفان، ومن الواضح أن الشال هو محور السر كله، ولقد حدث أمس أن ذهب "**كونراد فليكمان**" لزيارة "**آنا روزنبرج**"، ودام اجتماعهما أكثر من ساعة في غرفة مغلقة، وبعد انصرافهُ، كانت "**آنا روزنبرج**" شاحبة اللون مضعضعة الحواس، إلى حد أنها اضطرت إلى ملازمة الفراش، ولكنها أمرت الخدم بعد انصرافه بألا يسمحوا له بالدخول إذا جاء مرة أخرى. وليلة أمس، غادرت بيتها في نحو الساعة التاسعة ولكنها لم تعد، ووجدت صباح اليوم مطعونة بخنجر في البيت الذي كان يقيم به "**كونراد فليكمان**"، ووجد بجانب جثتها.. ماذا تظن قد وجد؟ فأجاب "**إيستوود**" دون تردد:

– الشال... الشال ذو الألف زهرة.

– كلا.. بل وجد شيء آخر مخيف.. شيء يفسر لغز الشال العجيب ويوضح قيمته وأهميته.. ولكن معذرة.. يخيل إليَّ أن الرئيس قد جاء. والواقع أن جرس الباب دق في تلك اللحظة. فغادر المفتش الغرفة مسرعًا.

– 2 –

انتظر "**إيستوود**" عودة المفتش بفارغ الصبر؛ لكي يعرف منه سرَّ الشال الإسباني. أما فيما يختص بمركزه هو في القضية، فإنه كان مطمئنًا كل الاطمئنان، وواثقًا بأنهم متى أخذوا بصماته، فسيدركون فوراً أنه بريء. ومن يدري.. فقد تتصل به "**كارمن**" بعد ذلك.. أما قصة الشال ذي الألف زهرة. فإنها قصة عجيبة حقًّا.. إنها القصة التي تلائم جمال وغموض فتاة مثل "**كارمن فيراريز**".

*****

وأفاق فجأة من تأملاته.. وأحس بأن المفتش قد تأخر أكثر مما ينبغي له، فنهض، وفتح باب الغرفة، وأدهشه الهدوء الذي يخيم على الشقة. ترى هل انصرف المفتشان؟

لكن كيف انصرفا دون أن يقولا له كلمة واحدة؟

وانتقل إلى القاعة المجاورة، ووجدها خالية وليس بها أحد، وكذلك كانت قاعة الاستقبال، ولكن شيئا في هذه القاعة الأخيرة أثار ريبته وقلقه.. خُيِّل إليه أنها ليست كالعهد بها وأن شيئًا ينقصها.. يا إلهي!! أين تحفه الثمينة؟ أين مقتنياته التي دفع كل أمواله ومدخراته ثمنًا لها؟ واندفع يعدو في الشقة.

نفس الشيء في جميع الغرف، لقد جردت كلها من أثمن ما فيها، واختفى منها كل شيء ذي قيمة. تهالك على أحد المقاعد وهو يئن، ودفن رأسه بين كفيه، ولم ينهض من مكانه إلا عندما دق جرس الباب. فتحه بنفسه ليجد "**روجرز**" أمامه. قال البواب:

– معذرة يا سيد "**إيستوود**".. لقد قال لي السيدان إنك ربما كنت محتاجًا إليَّ.

– السيدان؟!

– أعني صديقيك اللذين جاءا معك.. لقد ساعدتهما على حزم الأشياء بقدر ما استطعت، ومن حسن الحظ أن كان لديَّ صندوقان فارغان، فأحضرتهما إلى هنا ووضعت الأشياء فيهما. فقال "**إيستوود**" وهو يضرب كفًّا بكف:

– أحضرت الصندوقين.. ووضعت الأشياء فيهما؟

– نعم يا سيدي.. ألم تكن هذه رغبتك؟ لقد أمرني السيد الطويل القامة أن أفعل ذلك، ولاحظت أنك مشغول في الحديث مع السيد الآخر في الغرفة الصغيرة، فلم أشأ أن أزعجك.

– أنا لم أكن لأتحدث إليه.. هو الذي كان يتحدث إليّ، لعنة الله عليه. فسعل "**روجرز**" وقال:

– يؤسفني يا سيدي أن تكون في مأزق مالي اضطرك إلى بيع تلك التحف.

– مأزق مالي!!! ها.. ها.. ها.. وأطلق ضحكة جوفاء أقرب إلى البكاء، وقال:

– لابد أنهما رحلا منذ بعض الوقت.. أعني صديقي العزيزين.

– نعم يا سيدي.. إنني وضعت الصندوقين في سيارة أجرة، وصعد السيد الطويل القامة إلى الشقة مرة أخرى، وعاد مع زميله وركبا السيارة. فأنّ "**إيستوود**" أنين الموجع.. وسأله "**روجرز**":

– هل حدث خطأ ما يا سيدي؟

– كل ما حدث كان خطأ.. فشكرا لك يا "**روجرز**".. ولكنك لست ملوما.. دعني الآن يا "**روجرز**"، فإنني أريد أن أجري بعض المكالمات التليفونية.

*****

وبعد بضع دقائق. كان "**إيستوود**" يروي قصته للمفتش "**درايفر**"، الذي جاء على عجل تلبية لدعوته، وكان "**درايفر**" رجلاً بغيضًا يتكلف العظمة والجدية، ولا يكاد يشبه المفتشين الحقيقيين. ولم يتمالك "**إيستوود**" من أن يقارن في ذهنه بين المفتش الحقيقي والمفتشين الزائفين، ولم يسعه إلا الاعتراف بتفوق الفن على الطبيعة.

*****

وراح المفتش "**درايفر**" يسجل أقوال "**إيستوود**"، فلما فرغ هذا من سرد قصته، طوى المفتش أوراقه وهم بالانصراف. فسأله "**إيستوود**" بقلق:

– ما رأيك؟ فأجاب المفتش:

- إن الأمر واضح، فالعملية من تدبير عصابة "**باترسون**" التي نشطت في الأيام الأخيرة وقامت ببعض المغامرات الناجحة، والعصابة تتألف من رجل بدين وشاب أشقر وفتاة.

- فتاة؟!

- نعم، فتاة على جانب كبير من الجمال، يتخذها الرجلان طُعمًا للإيقاع بالضحايا.

- هل هي إسبانية؟

- إنها إسبانية تارة، وإيطالية تارة أخرى، ويونانية حينا ويوغوسلافية حينا آخر، ولكنها في الواقع من مواليد "**هامبستيد**". ثم أردف المفتش وهو يسير نحو الباب:

- إن بصمة العصابة واضحة في الحادث.. فقد اتصلت بك الفتاة تليفونيا، وقصت عليك قصة ملفقة وهي تعلم تمامًا أنك ستسرع لمقابلتها.. ثم ذهبتْ هي إلى حانوت السيدة "**جبسون**" العجوز، ونقدتها مبلغًا من المال لكي تسمح لها باستخدام الغرفة الخلفية لمقابلة أحد عشاقها الذين لا تستطيع مقابلتهم ج هارا.

وسقطت أنت في الفخ بكل بساطة، وجاء بك شريكاها إلى هنا، و ينما كان أحدهما يروي لك قصة من وحي خياله.. كان زميله يجمع ما خف حمله وغلا ثمنه من محتويات الشقة.. نعم.. إن العملية تحمل طابع عصابة "**باترسون**".. ما في ذلك شك. واستطرد المفتش قائلا:

- سنبذل قصارى جهدنا بطبيعة الحال.. ولكني أقول لك من الآن إن أفراد العصابة على جانب كبير من الذكاء والمهارة. فقال "**إيستوود**" بمرارة:

- أنا واثق بذلك.

*****

وما كاد المفتش ينصرف حتى دق جرس الباب مرة أخرى ففتحه "**إيستوود**"

ووجد أمامه صبيًّا يحمل طردًا.. قال الصبي:

– طرد لك يا سيدي. فدهش "**إيستوود**" ولكنه تناول الطرد. لم يكن لينتظر ورود طرود من أي نوع، فذهب بالطرد إلى قاعة الاستقبال، وفتحه.. ووجد به الآنية الزجاجية التي اشتراها من العجوز.. فتمتم قائلا:

– قبَّحها الله.. ولكنه رأى في قاع الآنية وردة صناعية. فشرد ذهنه إلى الغرفة التي خلف الحانوت بشارع "**كيرك**". وتذكر كلمات الفتاة حين قالت: "إنني أحبك.. نعم، أحبك، فهل ستتذكر ذلك مهما حدث؟". نعم.. إنها قالت ذلك.. تُرى هل كانت تعني ما قالت؟ وهل هذه الوردة هي رسالتها إليه؟ هل هي دعوة له؟ ووقف مترددا لحظة ثم هز رأسه بحزم، وقال:

– كلا. ووقع بصره على الآلة الكاتبة والورقة، وقرأ العنوان: (سرُّ التفاحة الثانية).

وشردت عيناه في الفضاء، وشرد ذهنه. الشال ذو الألف زهرة. تُرى ماذا كان ذلك الشيء الذي وجد على الأرض بجوار جثة "**آنا روزنبرج**"؟

ماذا كان ذلك الشيء المخيف الذي يفسر السر كله؟ لا شيء بالتأكيد، مادامت القصة ملفقة، والغرض منها هو مجرد شد انتباهه، والراوي قد استعار أسلوب "**شهر زاد**"، وكف عن السرد عندما وصل إلى أهم نقطة في القصة.

ولكن.. ألا يوجد شيء مخيف يمكن أن يفسر السر ويوضحه؟ ألا يوجد هذا الشيء؟ ألا يمكن أن يتوصل إليه الإنسان إذا عصر ذهنه وفكَّر مليًّا؟

*****

وانتزع "**إيستوود**" الورقة من الآلة الكاتبة، ومزقها، ووضع في الآلة ورقة أخرى، وكتب العنوان: "سر الشال الإسباني"، ونظر إلى هذه الكلمات لحظة في صمت، ثم راح يكتب بسرعة، ودون توقف.

*****

من القاتل ؟

أهم الشخصيات :

– السير "**إدوارد باليستر**" : محام متقاعد كان يهتم بالقضايا الإجرامية.

– "**مجدالين فون**" : فتاة تعرف إليها السيد "**إدوارد**" في خلال رحلته إلى "**أمريكا**".

– "**ماتيو فون**" : شقيق "**مجدالين**" التوأم.

– العمة "**ليلي كرابتري**" : قريبة "**مجدالين**" و "**ماتيو**".

– "**ويليم كرابتري**" : ابن أخ العمة (**كرابتري**).

– "**إيميلي**" : زوجة "**ويليم كرابتري**".

– "**مارتا**" خادمة العمة "**ليلي**".

- 1 -

كان السير "**إدوارد باليستر**" يقيم بالمنزل رقم 9 بشارع الملكة "**آنا**"، وهو شارع صغير مسدود في حي "**وستمنستر**"، أشبه بواحة صغيرة هادئة في قلب "**لندن**" الصاخبة.. كان السير "**إدوارد**" راضيا عن بيته الصغير الهادئ كل الرضا، فهو محام قديم كان – في وقت ما – أشهر المحامين في القضايا الجنائية في عصره، ثم اعتزل المحاماة، وراح يقضي وقته في جمع الكتب والمراجع التي وضعت عن علم الإجرام، حتى أصبح لديه منها مكتبة ثمينة. ثم شرع في كتابة مذكراته عن أشهر المجرمين.

وذات مساء، كان السير "**إدوارد**" جالسا أمام المدفأة في قاعة المكتبة، وأمامه قدح قهوة، وبين يديه كتاب من وضع (**لامبروزو**)، أشهر مَنْ كتب عن الإجرام والجريمة. كان يقرأ بإمعان، ويهز رأسه بين الفينة والفينة، فقد محا الدهر نظريات (**لامبروزو**) وآراءه.

وظهرت نظريات جديدة قلبت علم الجريمة رأسا على عقب. وبلغ من استغراق السير "**إدوارد**" في القراءة، أنه لم يشعر بخادمه "**آرمر**" حين فتح الباب، وتسلل إلى الداخل بهدوء، ووقف بجانبه. قال الخادم بصوت لا يكاد يسمع:

– بالباب سيدة شابة تطلب مقابلتك يا سيدي. فدهش السير "**إدوارد**" وردد:

– سيدة شابة؟! لم يكن من المألوف أن يزوره أحد، فيما عدا بضعة أفراد من ذوي قرباه. كانت صلته بالناس قد انقطعت تماما منذ أن اعتزل مهنة المحاماة، وخطر له أول الأمر أن الزائرة ربما كانت "**إيثل**" ابنة أخيه، ولكن "**آرمر**" يعرف "**إيثل**" جيداً، قال:

– ألم تذكر لك اسمها؟

– كلا يا سيدي.. ولكنها قالت إنها واثقة بأنك لن تمانع في استقبالها. فقال السير "**إدوارد**" وقد ثار فضوله:

– دعها تدخل. وبعد لحظات، دخلت سيدة شابة في نحو الثلاثين من عمرها، ترتدي ثوبًا أنيقًا، وقبعة سوداء عريضة. دخلت ويدها ممدودة لمصافحة السير "**إدوارد**" ، وفي عينيها نظرة توحي بأنها عرفته، وأنها سعيدة بلقائه. وانسحب الخادم بهدوء، وأغلق الباب وراءه. وهتفت الفتاة قائلة:

– السير "**إدوارد**" !! إنك تذكرني.. اليس كذلك؟ أنا "**مجدالين فون**" . وعرفها فورًا، وتذكر رحلته إلى "**أمريكا**" على ظهر الباخرة (**سيلوريك**). لقد قابلها في تلك الباخرة.

كانت يومئذ في نحو الثامنة عشرة من عمرها، فتاة جميلة مُوَرَّدَة الخدين ممتلئة نشاطا وحيوية، وكانت شديدة الإعجاب به، شأنها في ذلك شأن الشباب الذين يعبدون البطولة والأبطال، وينظرون إلى المشاهير نظرتهم إلى أنصاف الآلهة. وتذكر كيف خلبت لُبَّهُ ببساطتها وشبابها، وكيف جعلت الدم يتدفق في شرايينه حارا سريعا وهو ابن الستين. تذكر كل ذلك في لمحة خاطفة، وأسعدته الذكرى، وعبر عن سعادته بأن ضغط على يدها وهو يصافحها. وفي هدوء، وبسرور مقرون بالوقار، وضع لها مقعدا أمام المدفأة وهو يسائل نفسه، تُرى ماذا جاء بها الآن؟!

*****

وبعد تبادل العبارات المألوفة في مثل هذه الحالة، ساد بينهما صمت عميق، لاحظ السير "**إدوارد**" في خلاله أن الفتاة تطبق أصابعها على حافة المقعد ثم تبسطها بحركة عصبية. ثم فجأة، بللت الفتاة شفتيها بلسانها وقالت:

– أريدك أن تساعدني يا سير "**إدوارد**" . فازدادت دهشته، وقال بطريقة آلية:

– نعم؟ فمضت في حديثها قائلة:

– إنك قلت لي على سطح الباخرة إنني إذا احتجت إلى معونة، وكان باستطاعتك أن تفعل شيئا فإنك لن تتردد.

نعم، إنه قال هذا الكلام، قاله في لحظة الوداع قبل أن يذهب كل منهما إلى

سبيله، قاله بصوت متهدج وهو يرفع يدها إلى شفتيه، ولكن الكلام الذي يقال عادة في مثل هذه الظروف، دون أن يعني شيئا.. ودون أن يلزم صاحبه بشيء، وخاصة إذا كانت قد مرت كل هذه السنين، فكم سنة مرت منذ لقائهما؟

عشر سنين على الأقل. نظر إليها. كانت لا تزال على جانب كبير من الجمال، ولكنها فقدت الشيء الذي جذبه إليها حين ذاك.. فقدت نضارة الشباب وبراءته، وحماسته واندفاعه. ربما كان وجهها قد أصبح أكثر إثارة وفتنة لرجل أصغر منه سنا وأوفر شبابا، أما هو فإنه قد تجاوز السن التي يمكن أن يشعر فيها بدفء العاطفة كما شعر حين قابلها في الباخرة.

*****

نظر إليها بشيء من الحذر، وشاعت في وجهه تلك الصراحة التي عرفت عنه وهو يعمل في المحاماة، وقال بسرعة:

– بكل تأكيد يا فتاتي العزيزة.. سوف يسعدني أن أفعل كل ما باستطاعتي.. وإن كنت أشك في أنني أستطيع أن أفعل الشيء الكثير في هذه الأيام. ولعله قال ذلك تمهيدا للانسحاب بلباقة، ولكن الفتاة لم تدرك غرضه.. لم تكن من أولئك الذين يستطيعون التفكير في أمرين في وقت واحد، وكانت متاعبها الخاصة تستأثر بكل اهتمامها وتفكيرها.. ثم إنها كانت واثقة بأن السير "**إدوارد**" لن يخيب لها رجاء. قالت:

– إننا في مأزق مخيف يا سير "**إدوارد**".

– أنتم؟ هل أنت متزوجة؟

– كلا.. أعني أنا وأخي.. بل والسيد "**ويليم**" و"**إيميلي**" أيضا، لكن يجب أن أوضح لك الأمر من بدايته.. كانت لي عمة، هي السيدة "**كرابتري**".. هل قرأت عنها في الصحف؟ كانت نهايتها مؤلمة ومخيفة.. إنها قتلت.. فلمعت عينا السير "**إدوارد**" باهتمام وقال:

– آه.. قتلت منذ شهر تقريبا.. أليس كذلك؟ فأطرقت الفتاة برأسها علامة الإيجاب، وقالت:

– بل منذ أقل من شهر.. وبالتحديد منذ ثلاثة أسابيع.

– نعم.. أذكر أنني قرأت عن هذا الحادث.. إنها قتلت في بيتها.. أصيبت بضربة على الرأس قضت على حياتها، ولم يستدل البوليس على القاتل. فتنهدت الفتاة وقالت:

– نعم.. لم يقبضوا على القاتل بعد.. وإني أرتاب في أنهم سيقبضون عليه في أحد الأيام؛ إذ من المحتمل ألا يكون له وجود.

– ماذا؟!

– نعم، إن الموقف محير ومخيف، وقد كفت الصحف عن الكتابة عن الحادث، أو الإشارة إلى أي نشاط يقوم به رجال البوليس للقبض على القاتل.. هل تعرف لماذا؟ لأن رجال البوليس واثقون بأن أحداً لم يدخل البيت في تلك الليلة.

– تعنين...

– أعني أن البوليس يعتقد أن القاتل هو واحد منا نحن الأربعة، ولكنهم لا يعرفون من هو، ونحن لانعرف من هو.. إننا نجلس معًا كل يوم وينظر كل منا إلى الآخر بشك وتساؤل.. يا إلهي! كم أتمنى أن يكون القاتل شخصاً من الخارج، لكن ذلك مستحيل. فتفرس السير "**إدوارد**" في وجهها وقال وقد ثار فضوله إلى أقصى حد:

– هل تعنين أن رجال البوليس يرتابون في أفراد الأسرة؟

– نعم، هذا ما أعنيه.. إنهم لم يصرحوا بذلك طبعًا.. وقد كانوا على جانب كبير من اللطف والأدب، ولكنهم فتشوا البيت تفتيشًا دقيقًا.. واستجوبونا جميعًا، بل واستجوبوا خادمتنا "**مارتا**" أكثر من مرة.. بيد أنهم لم يوجهوا الاتهام بعد إلى أحد.. ولعلهم يبحثون عن مزيد من القرائن والأدلة.. إنني خائفة يا سير

"**إدوارد**" .. ولا يغمض لي جفن من الخوف.

– رفِّهي عنك يا بنيتي العزيزة .. لاشك في أنك تبالغين في التشاؤم.

– كلا يا سير "**إدوارد**" .. القاتل هو واحد منا، هذا أمر لا شك فيه.

– من هم الأربعة الذين أشرت إليهم؟ فاعتدلت "**مجدالين**" في جلستها وقالت بمزيد من الهدوء:

– أنا وأخي "**ماتيو**" .. ونحن توأمان كما تعلم.. ولم تكن السيدة "**ليلي كرابتري**" عمتنا بالمعنى المفهوم.. وإنما كانت شقيقة جدتنا.. ونحن نقيم معها منذ بلغنا الرابعة عشرة من عمرنا.. أما الشخصان الآخران فهما "**ويليم كرابتري**"، وهو ابن أخ السيدة "**كرابتري**"، وزوجته "**إيميلي**". فقال السير"**إدوارد**":

– هل كانت العمة تنفق على "**ويليم**" وزوجته "**إيميلي**"؟

– إلى حد ما، إن لـ "**ويليم**" دخلاً خاصًا بسيطًا.. ولكنه إنسان ضعيف البنية، هادئ الطباع، لا يغادر البيت إلا نادراً، ومن المستحيل أن يكون قد ارتكب الجريمة.

– إنني مازلت بعيداً عن فهم الموقف.. هل لك أن تذكري لي الحقائق.. كل الحقائق.. إذا لم يكن في ذلك ما يؤلمك؟

– إن كل شيء واضح في ذهني تمام الوضوح، وكان في نيتي أن أذكر لك الأحداث بالتفصيل. ذات يوم، منذ ثلاثة أسابيع، تناولنا الشاي معًا، ثم انصرف كل منا لعمل يهمه، أنا انصرفت للحياكة، و"**ماتيو**" شرع في نسخ مقال على الآلة الكاتبة لإرساله إلى إحدى المجلات؛ لأنه يشتغل بالصحافة كهواية، أما "**ويليم**" فإنه أكب على مجموعة من طوابع البريد لتنسيقها، أما "**إيميلي**"، فإنها لم تتناول الشاي معنا لأنها شعرت بصداع شديد، فتناولت بعض الأقراص المهدئة ولزمت فراشها.

وهكذا كنا جميعًا في المنزل وكل منا في شغل بامر ما، وعندما أعدت "**مارتا**"

طعام العشاء في الساعة السابعة والنصف، وذهبت لتخطر العمة "**ليلي**" بذلك وجدتها جثة هامدة ورأسها مهشم. قالت "**مجدالين**" ذلك ووضعت يدها على عينيها كأنما لتحجب عنهما منظراً مروعاً. قال السير "**إدوارد**" :

– أظن أن رجال البوليس وجدوا الأداة التي ارتكبت بها الجريمة.. أليس كذلك؟

– نعم.. كانت الأداة كتلة من الحديد تستخدم كثقل للأوراق. وكان مكانها دائما على المكتب بجوار الباب. وقد وجدت بعض أدراج المكتب مفتوحة، كما لو أن شخصاً كان يبحث فيها عن شيء. وكان أول ما تبادر إلى أذهاننا بطبيعة الحال، هو أن لصاً تسلل إلى قاعة المكتب وقتلها بقصد السرقة.

ثم جاء رجال الشرطة وقالوا إنها ماتت منذ ساعة على الأقل، وسألوا "**مارتا**" عمن دخل البيت، فقالت لا أحد، وأضافت أن جميع النوافذ والأبواب كانت مغلقة من الداخل. ويبدو أن القاتل لم يسرق شيئا ولم يعبث بشيء ما عدا أدراج المكتب. ومن ثم شرع رجال الشرطة في إلقاء الأسئلة. وصمتت "**مجدالين**"، وراح صدرها يعلو ويهبط بينما تعلقت عيناها بوجه السير "**إدوارد**" وفيهما نظرة تجمع بين الخوف والتوسل. قال السير "**إدوارد**" :

– من الذي يَفيد من موت عمتك؟

– كلنا نفيد من موتها، فقد أوصت بأن توزع ثروتها بيننا بالتساوي.

– بماذا تقدر الثروة؟

– قال محاميها إن ثروتها تقدر بثمانين ألفا من الجنيهات بعد سداد ضريبة التركات. ففتح السير "**إدوارد**" عينيه بدهشة وقال:

– إنها ثروة ضخمة.. هل كنتم تعرفون قيمتها؟ فهزت "**مجدالين**" رأسها سلبا وأجابت:

– كلا.. كان كلام المحامي مفاجأة لنا.. ذلك أن العمة "**ليلي**" كانت شديدة

الحرص والتقتير، وكانت تحدث خادمتنا دائمًا عن ضرورة الاقتصاد. فأطرق السير "**إدوارد**" برأسه مفكرًا وانحنت "**مجدالين**" إلى الأمام وقالت متوسلة:

– إنك ستساعدني يا سير "**إدوارد**" .. أليس كذلك؟ ومن حسن حظها أن قصتها كانت قد أثارت فضوله، ولكنه قال:

– وماذا باستطاعتي أن أفعل يا سيدتي العزيزة؟ إذا كنت تنشدين مشورة رجل قانون فإني على استعداد لأن أدلك على... ولكنها قاطعته بقولها:

– كلا.. لا أريد مشورة أحد.. أريدك أنت أن تساعدني شخصيًّا.. كصديق.

– لكن يا سيدتي العزيزة...

– تذكر أنك وعدت بأن تساعدني في أي شيء.. وفي أي زمان ومكان.. ونظرت إليه بعينين تفيضان بالثقة والتوسل، فشعر بخجل وتأثر غريبين. أثر فيه صدقها، وصراحتها، وإيمانها المطلق بإخلاصه للوعد العابر الذي تفوه به منذ عشرة أعوام. لكن ما أكثر الرجال الذين ينطقون بمثل هذا الوعد.. وربما بنفس الصيغة والألفاظ. تُرى كم منهم طُلب إليه أن يفي بوعده؟ قال بشيء من التخاذل:

– أنا واثق بأن هناك كثيرين يستطيعون مساعدتك أفضل مني. فأجابت:

– إن لي أصدقاء عديدين، ولكن ليس بينهم من يضارعك في البراعة.. إنك تعودت أن تسأل الناس وتلقي الضوء على القضايا الغامضة.. إن من كانت له مثل خبرتك وتجاربك يستطيع أن يعرف بسهولة.

– يعرف ماذا؟

– يعرف ما إذا كانوا أبرياء أو مذنبين. فلم يتمالك نفسه من الابتسام بشيء من الخيلاء.. نعم، إنه يغبط نفسه؛ لأنه كان دائما يعرف.. رغم أن وجهة نظره لم تكن لتتفق دائمًا مع وجهات نظر المحلّفين.

*****

دفعت "**مجدالين**" قبعتها إلى الوراء بحركة عصبية، وأجالت الطرف حولها وقالت:

– ما أشد الهدوء هنا! ألا تتوق أحيانا إلى بعض الضوضاء؟ ومست هذه الكلمات التي نطقت بها المرأة الشابة جزافا شيئا في أعماقه. نعم، إنه يعيش في شارع مسدود، بعيدا عن الضوضاء والناس، ولكنه يستطيع دائمًا أن يخرج إلى الدنيا من جديد، من نفس الطريق الذي دخل منه.

وأحس فجأة بنشاط الشباب، وحماسة الشباب. إن ثقتها العمياء فيه قد مسَّت أجمل ما في نفسه، ومشكلتها الغريبة قد أثارت فيه فضول العالم الذي يبحث عن الحقيقة، وشعر بحاجة إلى مقابلة الأشخاص الذين تحدثت عنهم الزائرة الشابة... لكي يحكم عليهم بنفسه. قال:

– إذا كنت واثقة حقًّا بأنني أستطيع أن أفيدك، فإنني أضع نفسي في خدمتك، إنما يجب أن تعلمي أنني لا أعدك بشيء، ولا أضمن شيئا. وتوقع أن تقفز الزائرة فرحًا، ولكنها تقبلت موافقته بهدوء تام. قالت:

– كنت أعلم أنك ستساعدني.. لقد كنت دائمًا أفكر فيك كصديق وفي.. هل ستأتي معي الآن؟

– كلا.. أعتقد أنه من الأفضل أن أزورك غداً.. هل لك أن تذكري لي اسم محامي عمتك وعنوانه؟ قد أجد من الضروري أن ألقي عليه بضعة أسئلة. فكتبت الاسم والعنوان على ورقة قدمتها إليه، وقالت:

– أشكرك كثيرا يا سير "**إدوارد**" وإلى اللقاء غداً.

– وعنوانك؟

– يا إلهي! ما أشد غبائي!! العنوان رقم 18 شارع "**بالاتاين**" في "**شلسي**".

*****

– 2 –

كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة من بعد ظهر اليوم التالي عندما اقترب السير "**إدوارد باليستر**" من رقم 18 بشارع "**بالاتاين**" وهو يمشي الهوينى. لم تكن هذه أولى خطواته في القضية، فقد ذهب في الصباح إلى إدارة "**اسكتلنديارد**"، وقابل هناك صديقا قديما يشغل منصب مساعد المدير. ثم قابل بعد ذلك محامي السيدة "**ليلي كرابتري**"، ووقف منه على بعض معلومات ساعدته على أن يرى الأمور بمزيد من الوضوح. ولعل من الحقائق العجيبة التي ذكرها المحامي عن السيدة "**كرابتري**" أنها لم تكن تستخدم دفاتر الشيكات في معاملاتها، وإنما كانت تكتب إلى المحامي خطابا تطلب إليه فيه أن يعد لها مبلغا من المال من أوراق النقد فئة الخمسة جنيهات، ثم تذهب إليه بنفسها لتتسلمه. كانت دائما تطلب نفس المبلغ وهو ثلاثمائة من الجنيهات أربع مرات كل عام.. أي ألف ومائتا جنيه على أربعة أقساط.

وفي "**اسكتلنديارد**"، علم السير "**إدوارد**" أن الناحية المالية كانت موضع اهتمام القائمين بتحقيق القضية، وأن موعد حصول السيدة "**كرابتري**" على القسط التالي من الأقساط الأربعة كان قد اقترب، ومعنى ذلك أنها أنفقت القسط الأخير كله أو أغلبه، ولكن كم أنفقت من هذا القسط الأخير وكم تبقى؟ ذلك ما لم يستطع المحقق أن يقطع فيه برأي؛ لأن مراجعة مصروفات البيت دلت – بما لا يدع مجالا للشك – على أن السيدة "**كرابتري**" كانت تنفق مبلغا أقل كثيرا من الثلاثمائة جنيه التي تأخذها كل ثلاثة أشهر.

ولكن المحقق علم من ناحية أخرى، أن السيدة "**كرابتري**" تعودت أن ترسل إلى المحتاجين من أصدقائها وأقاربها أوراق نقد من فئة الخمسة جنيهات على سبيل المساعدة. فكم تبقى لديها من القسط الأخير بعد النفقات والمساعدات؟ ذلك

ما لا يعلمه أحد.. الشيء المؤكد والوحيد هو أن البيت كان خِلْوا تماما من النقود عند موتها، وتلك هي النقطة التي كان السير "**إدوارد باليستر**" يفكر فيها وهو يقترب من البيت.

*****

دق الباب ففتحته امرأة متقدمة في السن، ذكية النظرات، سريعة الحركة، وقادته إلى غرفة فسيحة. لم تلبث "**مجدالين**" أن وافته إليها. كانت دلائل التوتر العصبي أوضح في وجهها مما كانت في اليوم السابق. قال السير "**إدوارد**" وهو يشد على يدها ويبتسم:

– إنك طلبت إليَّ أن ألقي بعض الأسئلة وهانذا قد جئت.. أريد الآن أن أعرف من كان آخر شخص رأى عمتك على قيد الحياة، ومتى كان ذلك؟ فأجابت:

– إننا تناولنا الشاي في الساعة الخامسة، وكانت "**مارتا**" آخر شخص رآها على قيد الحياة؛ لأنها ابتاعت لها بعض الكتب وذهبت إليها لتعطيها ما تبقى من النقود.

– هل تثقين بـ"**مارتا**"؟

– كل الثقة.. إنها قضت في خدمة عمتي زهاء ثلاثين عامًا، وكانت دائمًا مثال الإخلاص والأمانة. فأطرق السير "**إدوارد**" برأسه قليلا ثم قال:

– سؤال آخر.. لماذا تناولت "**إيميلي**" عقارا مهدئا؟

– لأنها كانت تشعر بصداع.

– طبعًا.. طبعًا.. لكن هل كان هناك سبب خاص للصداع؟

– نعم.. فقد قامت مشادة بينها وبين العمة في أثناء تناول طعام الغداء.. إن "**إيميلي**" عصبية، سريعة الانفعال، والخلاف بينها وبين العمة "**ليلي**" أمر مألوف.

– وهكذا قام خلاف بينهما في أثناء تناول الغداء؟

– نعم، كانت العمة "**ليلي**" تهتم بالتوافه، وقد بدأ الخلاف من لا شيء، ثم تطور واحتدم، وقالت "**إيميلي**" كلاما لا تعنيه حقًّا، ولا يمكن أن تعنيه.. قالت إنها ستغادر البيت ولن تعود إليه أبداً.. وإن العمة "**ليلي**" تحقد عليها من أجل كل كلمة تقولها.. وكلاما كثيرا سخيفا آخر. فقالت العمة "**ليلي**" إن خير البر عاجله... وإنها كلما عجلت هي وزوجها بالرحيل كان ذلك أفضل.. لكن كل هذا الكلام من الجانبين لم يكن له في الواقع أي معنى أو نتيجة.

– لأن "**إيميلي**" وزوجها لا يملكان المال الكافي للرحيل والإقامة وحدهما في بيت خاص؟

– ليس ذلك فقط.. وإنما لأن "**ويليم**" كان يحب العمة ولا يفكر في الابتعاد عنها.

– ألم تحدث مشاجرات أخرى في ذلك اليوم؟ فاحمر وجه "**مجدالين**" وقالت:

– هل تعنيني بذلك؟ هل تعني الضجة التي ثارت بسبب رغبتي في أن أعمل عارضة أزياء؟

– هل كانت عمتك تعارض هذه الرغبة؟

– نعم.

– ولماذا أردت أن تعملي عارضة أزياء يا آنسة "**مجدالين**"؟ هل تروقك حياة عارضات الأزياء؟

– كلا.. ولكن أي شيء أفضل من حياة الخمول هنا.

– كان ذلك رأيك قبل وفاة عمتك.. أما الآن فإنك أصبحت ذات إيراد كبير خاص بك.

– نعم. إن الموقف قد تغير الآن. قالت ذلك بكل بساطة، وابتسم السير "**إدوارد**"، ولكنه لم يستمر في مناقشة هذا الموضوع وإنما قال:

– وأخوك.. هل تشاجر كذلك مع العمة؟

– "**ماتيو**" ؟ كلا.

– هل أفهم من ذلك أن أحدا لا يستطيع أن يزعم أن لـ "**ماتيو**" مصلحة خاصة في موت العمة؟ فخفقت أهداب "**مجدالين**" بسرعة، ولاحظ السير "**إدوارد**" ذلك وتابع قائلا فوراً:

– يقال إن أخاك مثقل بالديون.. فهل هذا صحيح؟

– نعم، للأسف.

– على كل حال، إن متاعبه قد انتهت الآن. فتنهدت وقالت:

– نعم، وهذا أمر يدعو إلى الارتياح. قالت ذلك أيضًا ببساطة. ودون أن تفطن إلى أن هذه الأقوال من شأنها أن تدعم الشكوك التي تحوم حولها وحول أخيها، ولم يعقب السير "**إدوارد**" على إجابتها وقال بسرعة:

– هل الجميع في البيت الآن؟

– نعم.. لقد أنبأتهم بأنك ستحضر، وهم على استعداد للتعاون معك بغير حدود.. أواه يا سير "**إدوارد**"، قلبي يحدثني بأنك ستجد كل شيء على مايرام، وأن لا أحد منا له ضلع فيما حدث، وأن القاتل شخص من الخارج. فقال:

– أنا لا أصنع المعجزات، قد أستطيع أن أعرف الحقيقة ولكني لا أستطيع أن أجعل الحقيقة تلائم رغباتك.

– لا تستطيع؟! يخيل إليَّ أنك تستطيع أي شيء.. وكل شيء. قالت ذلك وغادرت الغرفة.. وشَيَّعها السير "**إدوارد**" ببصره وهو يشعر ببعض الانزعاج. وقال يحدث نفسه:

"ماذا تعني بهذا الكلام؟ هل تريدني أن أنقذ شخصا ما من تبعات جريمته؟ ومن هذا الشخص؟". وقطع عليه حبل تفكيره دخول رجل يناهز الخمسين من عمره، قوي البنية، يعرج في مشيته قليلا. ولا يدل مظهره على أنه يعنى كثيرا بهندامه. هتف الرجل حالما رأى السير "**إدوارد**":

– سير "**إدوارد باليستر**"؟ لقد أرسلتني "**مجدالين**" إليك.. إنه لكرم منك أن تأتي لمساعدتنا.. ولكني واثق بأن جميع الجهود ستذهب سدى.. وأن البوليس لن يقبض على القاتل.

– هل تعتقد أن القاتل لص جاء من الخارج؟

– هذه الجريمة لم يرتكبها أحد من أفراد الأسرة.. أنا واثق بذلك.. إن اللصوص قد برعوا في هذه الأيام.. إنهم يدخلون البيوت ويخرجون منها كما يريدون.

– أين كنت وقت حدوث المأساة يا سيد "**كرابتري**"؟

– كنت في غرفتي بالطابق الأول أنسق مجموعتي من طوابع البريد.

– ألم تسمع شيئاً؟

– كلا.. إنني عادة لا أسمع شيئا حين أكون مشغولا بأمر ما.. وهذا خطأ.. لكن ما حيلتي.. إنني طبعت على ذلك.

– هل تقع غرفتك فوق هذه الغرفة؟

– كلا.. إنها في الجناح الخلفي. وفُتح الباب مرة أخرى، ودخلت سيدة شقراء صغيرة الحجم، كانت تقبض أصابعها وتبسطها بطريقة عصبية، وكانت تبدو على وجهها دلائل الخوف والجزع. قالت تحدث "**كرابتري**":

– لماذا لم تنتظرني يا "**ويليم**"؟ ألم أطلب إليك أن تنتظرني لكي نحضر معًا؟

– أنا آسف يا عزيزتي.. لقد نسيت. ثم التفت إلى السير "**إدوارد**" وقال:

– هذه زوجتي "**إيميلي**" يا سير "**باليستر**". فقال المحامي الشيخ وهو يشد على يدها:

– كيف أنت يا سيدة "**كرابتري**"؟ أرجو ألا يضايقك أن ألقي عليكم بعض الأسئلة.. إنني أعرف مدى قلقكم ورغبتكم في كشف الحقيقة.

– هذا طبيعي.. ولكني لا أستطيع أن أفيدك بشيء.. أليس كذلك يا "**ويليم**"؟ إنني كنت نائمة في فراشي ولم أستيقظ إلا حينما صرخت "**مارتا**".

– أين تقع غرفتك يا سيدة "**كرابتري**"؟

– فوق هذه الغرفة. ولكنني لم أسمع شيئا.. كيف كان يمكن أن أسمع وأنا نائمة؟ ولم يظفر منها بأكثر من هذا.

قالت إنها لا تعرف شيئا، ولم تسمع شيئا، وإنها كانت نائمة. كررت هذا الكلام وأصرت عليه بعناد المرأة الخائفة، وأحس السير "**إدوارد**" بأنها لم تذكر إلا الحقيقة. وعبر عن رغبته في إلقاء بضعة أسئلة على الخادمة "**مارتا**"، فتطوع "**ويليم كرابتري**" لمرافقته إلى المطبخ. وفي الردهة، كاد السير "**إدوارد**" أن يصطدم بشاب طويل القامة كان يهرول مسرعًا في طريقه إلى الباب الرئيسي. قال السير "**إدوارد**" يحدثه:

– ألست السيد "**ماتيو فون**"؟

– بلى.. ولكنني لا أستطيع الانتظار؛ لأنني على موعد مع أحد الأشخاص. وسمعته "**مجدالين**" وهي تهبط درج السلم وصاحت تعاتبه:

– "**ماتيو**".. إنك وعدت بأن... فقاطعها قائلا بسرعة:

– نعم يا أختاه، ولكنني لا أستطيع البقاء لأنني على موعد.. ثم ما الفائدة من الكلام وتكراره في هذا الموضوع المزعج؟ ألم تكفنا مضايقات البوليس؟ الحق أنني سئمت هذا كله. قال ذلك وخرج، وصفق الباب وراءه بشدة.

*****

ذهب السير "**إدوارد**" إلى المطبخ، وكانت "**مارتا**" تكوي بعض الملابس، فلما أبصرت به كفَّت عن العمل، ورفعت المكواة في يدها وتفرست فيه. وأغلق السير "**إدوارد**" الباب وقال:

– لقد طلبت الآنسة "**مجدالين فون**" معونتي فهل لديك مانع من أن ألقي عليك بعض الأسئلة؟ فهزت المرأة رأسها وقالت:

– لا أحد منهم ارتكب هذه الجريمة يا سيدي.. إنني أعرف ما يدور بخلدك ولكنك مخطئ.. هؤلاء القوم، رجال ونساء، من أكرم الناس وأنبلهم خلقًا.

– ليس لديَّ شك في ذلك، ولكن كرمهم ونبلهم لا يعتبران دليلا.

– ربما.. إن القانون شيء مضحك حقًّا، ولكن هناك الدليل الذي تتحدث عنه يا سيدي.. إن أحداً منهم لم يكن باستطاعته ارتكاب الجريمة دون أن أعلم.

– ولكن...

– إنني أعرف ما أقول يا سيدي.. أصغ. ورفعت إصبعها وأنصتت. كانت تنصت إلى صوت صادر من فوق رأسها. قالت:

– هذا الصوت صادر من درج السلم يا سيدي.. كلما صعد أحد أو هبط، انبعث هذا الصرير المزعج من درج السلم. ومهما حرصت على الهبوط والصعود في هدوء وحذر فإن الصرير لا مفر منه، لقد كانت السيدة "**إيميلي كرابتري**" في فراشها، وكان زوجها يلهو بطوابعه اللعينة، بينما كانت الآنسة "**مجدالين**" تعمل على آلة الخياطة، ولو هبط أحد هؤلاء الثلاثة على درج السلم لعرفت فوراً. كانت تتحدث بثقة ويقين فاقتنع المحامي وقال لنفسه: "هذه شاهدة صادقة وكلامها له ثقله" ثم قال يحدثها:

– لعل أحدهم هبط السلم دون أن تلاحظي.

– مستحيل.. إنني أعرف دون أن ألاحظ.. تماما كما تسمع بابا يغلق فتدرك أن شخصا خرج.

– إنك تحدثت عن ثلاثة أشخاص، ولكن هناك رابع.. فهل كان السيد "**ماتيو فون**" في الطابق الأول أيضا؟

– كلا.. كان في الطابق الأرضي في الغرفة الصغيرة المجاورة.. وكان يكتب على الآلة الكاتبة.. إن صوتها يُسمع واضحا من هنا.. وأستطيع أن أقسم أنه لم يكف عن الكتابة؛ لأن صوت الآلة اللعينة لم ينقطع لحظة واحدة. فتريث السير "**إدوارد**" لحظة ثم سأل:

– هل أنت التي اكتشفت الحادث؟

– نعم يا سيدي.. كانت السيدة "**ليلي**" ممددة على الأرض، وشعرها ملوث بالدم، ولم يسمع أحد شيئا مما حدث بسبب جلبة الآلة الكاتبة.

– هل أنت واثقة بأن أحدا لم يحضر إلى البيت؟

– كيف يحضر إنسان دون علمي؟ إن للبيت بابا واحداً.. وجرس الباب يدق هنا في المطبخ، فلو جاء زائر وضغط الزر فإن الجرس يرن هنا. فقال وهو ينظر إلى عينيها:

– هل كنت تحبين السيدة "**ليلي كرابتري**"؟ فلمعت عيناها فوراً وقالت وفي صوتها نبرة صدق وإخلاص لا تخطئها الأذن:

– نعم يا سيدي.. كنت أحبها كثيراً.. ولا بأس بأن أصارحك ببعض الحقائق التي لا يخجلني الآن أن أذكرها بعد أن طعنتُ في السن.. إنني ارتكبت هفوة ووقعت في ورطة وأنا فتاة.. ولولا السيدة "**ليلي**" لساء مصيري.. إنها أفسحت لي صدرها وأعادتني إلى العمل في هذا البيت بعد أن طردت منه.. لقد كنت على استعداد لأن أفتديها بحياتي.

– هل أفهم من ذلك أن أحدا لم يدخل من الباب؟

– نعم يا سيدي.

– ولكن افترضي أن السيدة "**ليلي**" كانت تنتظر قدومَ شخص ما، وأنها فتحت له الباب بنفسها. فوجمت المرأة ولم تجد جوابا، وقال السير "**إدوارد**" :

– ذلك ممكن.. أليس كذلك؟

– نعم.. ممكن ولكنه غير مألوف.. أعني.. ولاحظ السير "**إدوارد**" وجومها وترددها، وأنها تحاول أن تنفي احتمال دخول أحد دون علمها.. لكن لماذا؟ هل لأنها تعلم أن القاتل لم يأت من الخارج، وأنه أحد الأشخاص الأربعة؟ هل سمعت صرير درج السلم وأدركت هذه الحقيقة، ولكنها تريد التستر على أفراد الأسرة؟ وأي الأفراد الأربعة هو القاتل؟

*****

قال دون أن يحول عينيه عن وجهها:

– كان بوسع السيدة "**ليلي**" أن تفعل ذلك بطبيعة الحال.. أعني أن تفتح الباب بنفسها لشخص تنتظر قدومه.. إن نافذة غرفة المكتب تطل على الشارع، ومن المحتمل أن تكون السيدة "**ليلي**" قد لمحت ذلك الشخص حين مرَّ أمام النافذة في طريقه إلى الباب، فخرجت إلى البهو وفتحت له الباب بنفسها، ومن المحتمل أيضًا أنها لم تشأ أن يرى أحد ذلك الشخص.. أليس كذلك؟ فبدا الانزعاج على وجه "**مارتا**" وتمتمت قائلة:

– ربما كنت على صواب يا سيدي.. الحق أنني لم أفكر في ذلك.. وبدا كأنما الفكرة راقتها فرددت:

– نعم.. ربما كنت على صواب.

– هل كنتِ آخر من رآها على قيد الحياة؟

– نعم يا سيدي.. بعد أن حملت أدوات الشاي، ذهبت إليها بالكتب التي طلبت إليَّ شراءها، وبباقي النقود التي أعطتنيها.

– هل أعطتك النقود أوراق نقد فئة خمسة جنيهات؟

– أعطتني ورقة واحدة من فئة الخمسة جنيهات؛ لأن ثمن الكتب لم يكن ليتجاوز هذا المبلغ.

– أين كانت تضع النقود؟

– لا أعلم على وجه التحقيق يا سيدي.. أكبر الظن أنها تضعها في حقيبة مصنوعة من القطيفة السوداء تحملها معها.. لكن من المحتمل أيضًا أنها كانت تضعها في درج بمكتبها أو بمخدعها.. وتحتفظ بمفتاحه معها.. إنها كانت شغوفة بالاحتفاظ بالمفاتيح رغم أنها كثيرا ما كانت تفقدها.

– ألا تعرفين كم كان عندها من النقود.. أعني من أوراق النقد فئة الخمسة جنيهات؟

– كلا يا سيدي.

– ألم تقل لك شيئا يفهم منه أنها كانت تنتظر أحدا؟

– كلا يا سيدي.

– هل أنت واثقة؟ ماذا قالت لك بالتحديد؟ ففكرت "**مارتا**" قليلا ثم أجابت:

– قالت إن القصاب (الجزار) لص وغشاش، وإنني استهلكت مائة جرام من الشاي أكثر من اللازم، وأن من السخف أن ترفض السيدة "**إيميلي**" الطعام المطهو بالسمن النباتي، ثم أبدت اعتراضها على قطعة نقد جديدة من فئة ستة بنسات كنت قد أخذتها من المكتبة ضمن النقود المتبقية من ثمن الكتب، قالت إنها لم تر هذه القطع الجديدة ولا تعترف بها.. وقد وجدت صعوبة شديدة في إقناعها بقبولها.. ذلك كل ما حدث في لقائنا الأخير يا سيدي.

*****

ومن هذه العبارات البسيطة الصريحة، عرف السير "**إدوارد**" عن أخلاق المرأة القتيل وطباعها وأسلوب حياتها ما يقصر الوصف المسهب عن الإلمام به. قال:

– يبدو أنها كانت سيدة صعبة المراس.

– كانت تهتم بالتوافه، ولعل السبب أن المسكينة لم تكن لتخرج إلا نادرا، فكانت تحتاج إلى ما تشغل به نفسها، ولكنها كانت طيبة القلب إلى أبعد الحدود، ولم يحدث قط أنها ردت سائلا عن بابها دون أن تعطيه شيئا.. صحيح أنها كانت دقيقة في معاملاتها ولكنها كانت محسنة كريمة.

– يسُرُّني أن أعلم أنها تركت شخصا واحدا على الأقل يأسف على موتها. ففتحت الخادمة عينيها بدهشة واستنكار وهتفت قائلة:

– هل تعني أن.. لكن لا.. لقد كان الجميع في قرارة نفوسهم يحبونها من كل قلوبهم.. صحيح أنهم كانوا يختلفون معها أحيانا.. ولكنها كانت خلافات

سطحية على أمور لا أهمية لها. وسمع السير "**إدوارد**" في هذه اللحظة صرير دَرج السلم فرفع رأسه، وقالت "**مارتا**" :

- هذه الآنسة "**مجدالين**" تهبط السلم.

- كيف عرفت؟! فاحمر وجهها وغمغمت:

- إنني أعرف وقع قدميها. فغادر السير "**إدوارد**" المطبخ مسرعًا. ووصل إلى دَرج السلم في الوقت المناسب ليرى "**مجدالين**" وهي تهبط. لقد كانت الخادمة العجوز على صواب.

*****

نظرت "**مجدالين**" إلى المحامي الشيخ وفي عينيها أمل ورجاء، فرد على نظرتها بقوله:

- إننا لم نتقدم كثيرا بعد.. هل تعلمين ما إذا كانت عمتك قد تسلمت رسائل في يوم وفاتها؟ فأجابت:

- إن كل رسائلها موجودة في مكان واحد، وقد اطلع عليها رجال البوليس بطبيعة الحال. وقادته إلى غرفة المكتب، وفتحت درجه وأخرجت منه حقيبة من القطيفة السوداء قدمتها إليه قائلة:

- هذه حقيبة عمتي وفيها كل شيء كما تركتها يوم وفاتها، وقد حرصت على ألا يمسسها أحد. فشكرها السير "**إدوارد**"، وأفرغ محتويات الحقيبة على سطح المكتب.

كانت المحتويات أنموذجًا لما يوجد في حقيبة سيدة متقدمة في السن، غريبة الأطوار، فهي تتضمن بعض قطع النقود الفضية القديمة، وحبتي بندق، وثلاث قصاصات من الصحف عن كتاب جديد للتدبير المنزلي، وقصيدة شعرية عن البطالة وثلاث رسائل، الأولى تحمل توقيع: (ابنة العم "**لوسي**"). والثانية تتضمن فاتورة إصلاح ساعة، والثالثة من إحدى المؤسسات الخيرية. فحص السير "**إدوارد**"

المحتويات بعناية تامة، ثم أعادها إلى الحقيبة، ورد الحقيبة إلى "**مجدالين**" وهو يتنهد وقال:

– شكرا لك يا آنسة "**مجدالين**"، فليس في محتويات الحقيبة ما يفيدنا كثيرا.

ونهض واقفا، وتحقق من أن النافذة تطل على الشارع، بحيث يستطيع الجالس في الغرفة أن يرى المارة. ثم تناول يد "**مجدالين**" بين يديه فهتفت قائلة:

– أذاهب أنت الآن؟

– نعم.

– لكن.. هل ترى أن كل شيء على ما يرام؟ فأجاب ببطء وهدوء:

– لا يوجد رجل قانون يحترم نفسه يرضى بأن يدلي بإجابة عفوية ردًّا على سؤال كهذا. قال ذلك وشد على يدها ولاذ بالفرار.

– 3 –

سار في الطريق ببطء وهو مستغرق في التفكير.. ها هو اللغز أمامه، يتحداه، ويتحدى ذكاءه وخبرته، وهو لا يجد له حلا. كان يشعر بأنه يحتاج إلى مؤشر بسيط يهديه إلى الطريق. وفجاة، شعر بيد توضع على كتفه، ورأى "**ماتيو فون**" يسير معه جنبا إلى جنب وهو يلهث. قال الشاب:

– إنني أطاردك منذ بضع دقائق يا سير "**إدوارد**" لكي أعتذر لك عما بدر مني من غلظة وجفاء، والواقع أنني أعاني في هذه الأيام ضيق الصدر وتوتر الأعصاب للأسباب التي تعرفها.. لقد كان كرما منك أن تهتم بهذه القضية.. وهأنذا على استعداد لأن أجيبك عن أي سؤال تلقيه. وإذا كان هناك ما أستطيع عمله فإنني..

ولم يتم عبارته. فقد رفع السير "**إدوارد**" رأسه بغتة، وتعلقت عيناه بشيء في الجانب الآخر من الشارع. وكرر الشاب عبارته:

– إذا كان هناك ما أستطيع عمله فإنني... فقاطعه السير "**إدوارد**" قائلا:

– إنك عملت ما تستطيع فعلا حين استوقفتني في هذا المكان بالذات، مما لفت نظري إلى شيء ما كنت لألاحظه لو أنني مضيت في طريقي. وأشار إلى لافتة في الجانب الآخر من الشارع فقرأ "**ماتيو**" ما كتب على اللافتة:

– (مطعم البنسات الستة). ثم أضاف:

– هذا مطعم صغير يبيع الشطائر.. إن اسمه غريب.. ولكنه يبيع شطائر شهية.. هل تريد أن تجربه؟

– شكرا لك.. إنني لست في سن تسمح لي بتجربة أطعمة جديدة. قال ذلك ودار على عقبيه بسرعة فصاح "**ماتيو**":

– إلى أين أنت ذاهب؟

– سأعود إلى بيتك يا صديقي.

*****

ولم يدر بينهما حديث طوال الطريق، رغم نظرات التساؤل التي كان "**ماتيو**" يرنو بها إلى السير "**إدوارد**". وقصد السير "**إدوارد**" إلى غرفة المكتب مباشرة، وفتح أحد الأدراج. وأخرج الحقيبة السوداء ثم نظر إلى "**ماتيو**" نظرة لها معناها، فغادر الشاب الغرفة على كره منه. وحينئذ أفرغ السير "**إدوارد**" محتويات الحقيبة على المكتب وبحث عن كل شيء وأبرقت أساريره. نعم، إن ذاكرته لم تخنه، ثم وضع شيئا في جيبه، ودق الجرس، فأقبلت "**مارتا**" فقال لها:

– أذكر أنك قلت لي إن مناقشةً دارت بينك وبين سيدتك بشأن قطعة نقود جديدة من فئة الستة البنسات.

– نعم يا سيدي.

– الأمر العجيب يا "**مارتا**" هو أنني لم أجد هذه القطعة في الحقيبة.. وجدت

فقط قطعتين قديمتين من فئة الستة البنسات.. لكن لا أثر للقطعة الجديدة. فنظرت إليه بحيرة، فقال:

– هل فهمت ما أعني؟ لقد جاء أحد الأشخاص في ذلك المساء فأعطته سيدتك قطعة النقود الجديدة، وأظن أنها أعطته إياها ثمنا لهذه. وبحركة سريعة، أخرج من جيبه ورقة طبعت عليها قصيدة شعرية عن البطالة.

كانت هذه الورقة بين محتويات الحقيبة، وكان العمال العاطلون يستخدمونها لاستدرار عطف المحسنين للحصول على معونة. وكانت نظرة واحدة إلى وجه "**مارتا**" كافية لإقناع السير "**إدوارد باليستر**" بأنه أصاب الهدف. قال بسرعة:

– هأنت ترين أنني قد عرفت كل شيء.. فصارحيني بالحقيقة يا "**مارتا**".

فتهالكت على أحد المقاعد وسالت الدموع من عينيها قالت:

– نعم.. نعم.. إن رنين الجرس لم يكن واضحًا، فترددت، وبعد قليل، قررت أن أذهب لأرى إذا كان هناك مَنْ دق الجرس حقًّا.. وعندما مررت بقاعة المكتب، وكان بابها مفتوحًا، رأيت شخصا يهوي على رأسها بشيء ما، ورأيتها تسقط.. وكان أمامها على المكتب رزمة من أوراق النقد فئة خمسة جنيهات، ولعل وجود هذه الرزمة هو ما أغراه بقتلها، ولعله ظن – حينما فتحت له الباب بنفسها – أنها وحدها في البيت. ولم أقو على الاستغاثة، فقد أصابني الذعر بالشلل، وعندما استدار ورأيت وجهه.. عرفت.. عرفت أنه ابني، لقد كان منحرفًا منذ نعومة أظفاره، وكنت أعطيه كل ما أحصل عليه من أجور، ويبدو أنه جاء لمقابلتي فلما أبطأت في فتح الباب ذهبت السيدة "**كرابتري**" وفتحته بنفسها ولعله بهت حين رآها، فبحث عن سبب يبرر به إقدامه على دق جرس الباب فلم يجد خيراً من أن يقدم إليها هذه الورقة.

ولما كانت شديدة العطف على الفقراء والمعوزين، فأكبر الظن أنها سمحت له بالدخول لتعطيه قطعة النقود ذات الستة بنسات، وكانت رزمة الأوراق المالية على

المكتب طول الوقت منذ أن أعطيت السيدة "**كرابتري**" ما تبقى من ثمن الكتب، فوسوس إليه الشيطان أن يصرعها ليأخذ النقود.

– وماذا حدث بعد ذلك؟

– ماذا كان بوسعي أن أفعل يا سيدي؟ إنه من لحمي ودمي.. كان أبوه رجلاً شريراً، فسار على نهج أبيه.. ولكنه ابني على كل حال.. أخرجته من البيت بهدوء، وعدت إلى المطبخ وأعددت طعام العشاء كالمعتاد.. فهل تراني قد ارتكبت وزراً يا سيدي؟ إنني حاولت ألا أقول كذبا حينما سألتني. فقال السير "**إدوارْد**" بصوت متهدج. وقد غلبه التأثر:

– إنني أرثي لك أيتها المرأة المسكينة.. ولكن العدالة يجب أن تأخذ مجراها كما تعلمين.

– إنه غادر البلاد يا سيدي، ولا أعرف أين هو الآن.

– إذن فإن لديه فرصة للإفلات من المشنقة، ولكن يجب ألا تعقدي على ذلك أملاً كبيراً، والآن، هل لك أن ترسلي الآنسة "**مجدالين**" لمقابلتي؟

*****

وسمعت "**مجدالين**" الحقائق كما رواها لها بإيجاز، وصاحت وهي تكاد أن تطير من الفرح:

– ما أروعك يا سير "**إدوارد**".. ما أروعك! إنك أنقذتنا جميعًا فكيف أستطيع أن أشكرك؟ فابتسم السير "**إدوارد**" وقال وهو يربت يدها بلطف:

– إذا احتجت إلى مساعدتي مرة أخرى...

– سأحضر إليك مباشرة. فصاح بذعر:

– كلا.. كلا.. ذلك ما لا أريدك أن تفعليه.. إذا احتجت إلى مساعدة مرة أخرى فاذهبي إلى محامٍ أصغر سنا مني.

*****

العاشقان

أهم الشخصيات:

العقيد "**ميلروز**" : مدير الشرطة. رجل ريفي.

السيد "**ساترثويت**" صديق العقيد "**ميلروز**".

السير "**جيمس دوايتون**" : ثري متقدم في السن يسكن أحد القصور.

– الليدي "**لورا دوايتون**" : زوجة "**جيمس**"، امرأة جذابة.

– السيد "**بول ديلانجوا**" : شاب وسيم. ضيف السير "**جيمس**".

– السيد "**هارلي كوين**" : صديق السيد "**ساترثويت**".

"**جنجز**" : الخادم الخاص للسير "**جيمس**".

- 1 -

كانت الصداقة بين الرجلين غريبة، فالعقيد رجل ريفي بسيط. هوايته الوحيدة في الحياة هي الرياضة، والأسابيع القليلة التي يقيمها في "**لندن**"، كان يقضيها هناك على كُره منه. أما السيد "**ساترثويت**"، فكان رجلاً حضريًا من قمة رأسه إلى أخمصي قدميه، وحُجة في الطهو على الطريقة الفرنسية، وخبيراً بأزياء النساء، ومن أعلم الناس بفضائح المجتمع، وهوايته ملاحظة طبائع البشر والوقوف مما يجري على مسرح الحياة موقف المتفرج.

ومن هذا يتبين أنه لم تكن هناك أية صفة مشتركة يمكن أن تجمع بين الرجلين؛ لأن العقيد لم يكن ليهتم بأمور الآخرين. ولكن أواصر الصداقة توثقت بينهما أصلاً؛ لأن والديهما كانا صديقين؛ ولأنهما يعرفان الأشخاص أنفسهم، ويشعران بنفس الأحاسيس حيال أغنياء الحرب.

*****

كانت الساعة السابعة والنصف تقريبًا، وكان الرجلان يجلسان في مكتب العقيد "**ميلروز**". وقد راح هذا الأخير يصف رحلات الصيد التي قام بها في الشتاء المنصرم، وأخذ "**ساترثويت**" يصغي إليه بأدب رغم أن معرفته بالجياد لم تكن لتتجاوز زيارة حظائرها في بعض القصور الريفية القديمة التي لا تزال تحتفظ بحظائر للجياد. وفجأة، رن جرس التليفون، فنهض العقيد من مقعده، واقترب من المكتب وتناول السماعة، وهتف:

– مرحبًا.. نعم.. أنا العقيد "**ميلروز**".. ماذا حدث؟ وتغيرت سحنته فوراً، وتصلبت عضلات وجهه، وبدأ يتكلم بلهجة مدير الشرطة لا بلهجة الرجل الرياضي. قال:

– حسنًا يا "**كيرتس**".. سأحضر فوراً. ووضع السماعة، وتحول إلى ضيفه وقال:

– لقد وُجِدَ السير "**جيمس دوايتون**" مقتولاً في مكتبه. فهتف "**ساترثويت**" وقد أثاره النبأ:

– ماذا؟!

– يجب أن أذهب إلى قصر (**الدرواي**) في الحال.. هل تود مرافقتي؟ فقال "**ساترثويت**" بعد تردد قصير:

– إذا لم يكن في ذلك مضايقة لك.

– كلا.. ليس ثمة مضايقة.. الذي حدثني الآن هو المفتش "**كيرتس**".. إنه رجل أمين ومخلص، ولكنه يفتقر إلى الذكاء سيكون من بواعث سروري أن تأتي معي يا "**ساترثويت**"، فإنني أشعر بأن أمامنا جريمة بالغة التعقيد.

– هل قبضوا على القاتل؟ فأجاب العقيد بإيجاز:

– كلا.

وأدرك "**ساترثويت**" بحسه المرهف أن هذا الجواب الموجز يخالطه شيء من التحفظ، فبدأ يسترجع في ذهنه معلوماته عن آل "**دوايتون**". كان يعلم أن السير "**جيمس دوايتون**" رجل متقدم في السن، يناهز الستين من عمره، متعجرف، حاد الطباع، شحيح إلى أقصى حد. وهي صفات خليقة بأن تجلب عليه عداوة الكثيرين..

وانتقلت أفكاره إلى الليدي "**دوايتون**"، فتخيلها كما رآها، امرأة في مقتبل العمر، ممشوقة القوام، على جانب كبير من الجمال، وتذكر الشائعات الغريبة المختلفة التي تلوكها الألسن عنها. لابد أن العقيد "**ميلروز**" قد سمع هذه الشائعات، ولعل ذلك هو سبب وجومه وتحفظه.

*****

وبعد نحو خمس دقائق، كان "**ساترثويت**" يجلس بجوار العقيد في سيارة هذا الأخير، وتحركت السيارة، وبدأت رحلتها في ظلام الليل، وكان العقيد رجلاً صموتًا، وقد قطعت السيارة نحو ثلاثة كيلومترات قبل أن يتكلم. قال فجأة:

– أنت تعرفهما طبعًا.

– تعني "**دوايتون**" وزوجته؟ إنني أعرف كل شيء عنهما. والواقع أنه لم يكن هناك إنسان لا يعرف "**ساترثويت**" كل شيء عنه. استطرد قائلا:

– إنني قابلته مرة، وقابلتها مراراً.

– إنها امرأة جميلة.

– بل إنها فاتنة.

– أتظن ذلك؟ فقال "**ساترثويت**" :

– إنها من طراز نساء عصر النهضة.. إنني رأيتها في حفل خيري في الربيع الماضي، كانت تمثل دوراً في مسرحية، فبهرتني.. إنها تختلف تمامًا عن نساء هذا العصر، وقد ذكرتني بالحسناوات في قصور دوقات "**البندقية**".. بل لقد ذكرتني بـ"**لوكريس بورجيا**".

وهنا انحرفت السيارة فجأة، فاعتدل "**ساترثويت**" في مقعده.. وأدهشه أنه فكر في "**لوكريس بورجيا**" ونطق باسمها. وسأل:

– هل مات "**دوايتون**" مسمومًا؟ فنظر إليه العقيد من ركن عينه بشيء من الدهشة والفضول وقال:

– لماذا ألقيت هذا السؤال؟

– لا أعلم.. إنه مجرد سؤال.

– كلا.. إنه لم يمت مسمومًا، وإنما أصيب بضربة في الرأس.

– بآلة حادة؟

– لا تتكلم كرجل البوليس في القصص.. لقد أهوى بعضهم على رأسه بتمثال من البرنز.

– آه.. ولاذ "**ساترثويت**" بالصمت. فقال العقيد بعد صمت قصير:

– هل تعرف شيئًا عن شاب يدعى "**بول ديلانجوا**"؟

– نعم.. إنه شاب وسيم جدًّا.

– أظن أن هذا ما تقوله النساء عنه.

– ألا تحبه؟

– كلا.

– ظننتك تحبه، فإنه يجيد ركوب الخيل.

– نعم كاي مهرج أجنبي.. فأشاح "**ساترثويت**" بوجهه، ليخفي الابتسامة التي ارتسمت على شفتيه. كان يعرف عن "**ميلروز**" أنه بريطاني قح.. سأل:

– وماذا جاء به إلى هذه المنطقة؟ فأجاب العقيد:

– إنه نزل ضيفًا على آل "**دوايتون**".. ويقال إن السير "**جيمس**" طرده منذ نحو أسبوع.

– لماذا؟

– أظن أنه اكتشف أنه يغازل زوجته.. ما هذا بحق الشيطان؟! وانحرفت السيارة بعنف، واصطدمت بشيء. قال العقيد:

– ما أكثر المنحنيات الخطرة في طرق هذه البلاد.. لكن كان ينبغي لهذا الرجل أن يستخدم بوق السيارة، فنحن نسير في الطريق الرئيسي وهو قادم من طريق جانبي.. على كل حال أعتقد أننا أعطبناه أكثر مما أعطبنا. قال ذلك وغادر السيارة، وفي نفس اللحظة، غادر السيارة الأخرى رجل آخر لم يتبين "**ساترثويت**" وجهه، ولكنه سمعه يقول:

– أنا المخطئ.. والواقع أنني لا أعرف هذه المنطقة جيدا.. ولا توجد هنا أية علامة تشير إلى وجود طريق رئيسي. فقبل العقيد اعتذار الرجل، ودار معه حول سيارته ليرى ما أصابها من تلف، وكان برفقة الرجل سائق راح بدوره يفحص

السيارة، ودار بين الثلاثة حديث فني انتهى بأن قال الرجل:

- أظن أن إصلاح العطب لن يستغرق أقل من نصف ساعة.. لكن ألا يجب ألا يعيقك ذلك عن مواصلة رحلتك.. ويسرني أن سيارتك لم تصب بتلف يذكر.

فقال العقيد:

- الحقيقة أن.. ولكنه لم يتم عبارته.. فقد رأى "**ساترثويت**" يثب من مكانه في السيارة ويقبل نحوه مسرعًا ويتناول يد الرجل ويشد عليها بحرارة وهو يقول بانفعال واضح:

- لقد عرفتك من صوتك.. يا لها من مصادفة عجيبة! ثم التفت إلى العقيد وقال:

- هذا السيد "**هارلي كوين**" الذي طالما حدثتك عنه يا "**ميلروز**". ولم يتذكر العقيد أن "**ساترثويت**" حدثه عن "**هارلي كوين**".. ولكنه أومأ برأسه في أدب.

قال "**ساترثويت**":

- أظن أنه يجب ألا نتركك هنا على قارعة الطريق.. تعال معنا.. إن في السيارة متسعا لك.. أليس كذلك يا "**ميلروز**"؟ فأجاب العقيد بشيء من الفتور:

- بلى.. لكن هل نسيت مهمتنا يا "**ساترثويت**"؟ فجمد "**ساترثويت**" في مكانه لحظة، ثم لمعت عيناه، وتواثبت إلى ذهنه آلاف الخواطر، وهتف قائلا:

- كلا، كان يجب أن أعلم هذا.. كان يجب أن أعلم أن لقاءنا هنا الليلة على مفترق الطرق ليس وليد المصادفات. فنظر العقيد إلى صديقه بدهشة، وأمسك هذا بساعده وقال:

- هل تذكر ما حدثتك به عن صديقنا "**ديرك كابل**" وعن سبب انتحاره الذي لم يفطن إليه أحد؟ إن السيد "**كوين**" هو الذي حل هذا اللغز، ثم حل ألغازا كثيرة أخرى بعد ذلك. إنه يرشدك إلى أشياء موجودة فعلا ولكنك لا تراها.. الحق أنه مدهش. فقال السيد "**كوين**" وهو يبتسم:

– إنك تُخجل تواضعي يا عزيزي "**ساترثويت**"، وعلى قدر ما أذكر، فإنك أنت الذي حللت تلك الألغاز لا أنا.

– إنها حلت؛ لأنك كنت موجودا. سعل العقيد وقال:

– أظن أننا يجب ألا نضيع من الوقت أكثر مما أضعنا.. هلما بنا. قال ذلك وجلس أمام عجلة القيادة. كان يشعر بالامتعاض من وجود هذا الغريب الذي فرضته عليه حماسة "**ساترثويت**". لكن لم يكن بوسعه أن يجد سببا وجيها للامتعاض، فضلا على أنه كان يريد الوصول إلى قصر (**الدرواي**) بأسرع ما يستطيع. وجلس السيد "**كوين**" بين "**ساترثويت**" والعقيد، وقال هذا الأخير في محاولة لإخفاء امتعاضه:

– إذن فالجرائم تثير اهتمامك يا سيد "**كوين**"؟ فأجاب "**كوين**":

– كلا.. إنني لا أهتم بالجرائم ذاتها.

– بماذا تهتم إذن؟ فابتسم "**كوين**" وقال:

– دعنا نسأل السيد "**ساترثويت**".. فإنه فطن وقوي الملاحظة. فقال "**ساترثويت**" ببطء:

– أظن، وقد أكون مخطئا، أن ما يهم السيد "**كوين**" هم العشاق. وعلى الرغم من أنه نطق بكلمة (العشاق) كما لو كان يضعها بين قوسين، فقد احمر وجهه خجلا.. وقال العقيد:

– أحقًّا؟ فنظر إلى السيد "**كوين**" من ركن عينه، ووجده شابا عاديا، أسمر البشرة قليلا.. ولكنه ليس أجنبيا بحال. وقال "**ساترثويت**" يحدث "**كوين**":

– والآن يجب أن أحدثك عن القضية التي نحن بصددها.. وتكلم طوال عشر دقائق.. وتملكته نشوة الإحساس بالقوة.

صحيح أنه كان يقف من الحياة موقف المتفرج. ولكنه كان لبقا ذلق اللسان، فاستطاع أن يرسم صورة رائعة لـ "**لورا دوايتون**" بشعرها الأحمر وعينيها

الفاتنتين.. و"**بول ديلانجوا**" الوسيم معبود النساء، ومن ورائهما قصر (**الدرواي**) العتيد، والذي يرجع تاريخه إلى عهد الملك "**هنري السابع**".

وفي عبارات موجزة، رسم صورة أخرى للسير "**جيمس دوايتون**" وأسرته التي ظلت طوال عدة قرون تمتص دماء المزارعين، وتملأ خزائنها بالمال، حتى لا يعرف أفرادها وذراريها معنى الحاجة مهما ساءت الأحوال. ثم صمت.

كان واثقًا بأنه أحسن أداء المهمة، وأثار اهتمام السامعين.. صمت وانتظر كلمة ثناء، وجاء الثناء على لسان السيد "**كوين**". قال:

– أنت فنان يا سيد "**ساترثويت**".

*****

ووقفت السيارة بباب القصر، وهرول أحد رجال الشرطة لاستقبالهم. قال يحدث العقيد:

– طاب مساؤك يا سيدي.. المفتش "**كيرتس**" في قاعة المكتبة.

– حسنا.. وارتقى "**ميلروز**" درج السلم، وتبعه زميلاه. وفي ردهة القصر، قابلهم كبير الخدم وهو رجل متقدم في السن فحياه "**ميلروز**" قائلا:

– طاب مساؤك يا "**مايلز**".. حادث مؤسف حقًا. فأجاب الرجل بصوت متهدج:

– نعم يا سيدي.. وأنا لا أستطيع أن أصدق ما حدث.. لا أستطيع أن أصدق أن هناك من طوعت له نفسه أن يقتل السيد.

– سنتحدث في ذلك يا "**مايلز**". ومضى إلى قاعة المكتبة، فاستقبله المفتش باحترام وقال:

– حادث سيئ يا سيدي.. إنني تركت كل شيء في مكانه.. ولم أجد على أداة الجريمة أي أثر لبصمات الأصابع.. وذلك دليل على أن القاتل خطط جريمته بحرص وحذر.

ونظر "**ساترثويت**" إلى الرجل المقوس أمام المكتب. كان من الواضح أنه تلقى ضربة من الخلف هشمت الجمجمة، وكانت أداة الجريمة ملقاة على الأرض، وهي تمثال من البرنز، يربو ارتفاعه على نصف متر.. وانحنى "**ساترثويت**" فوق التمثال، وتأمله في فضول وتمتم قائلا:

– إنه تمثال (**فينوس**). وقال المفتش:

– كانت النوافذ كلها مغلقة بالمزاليج من الداخل. فقال العقيد:

– معنى ذلك أنها جريمة داخلية. كان القتيل مرتديا ثياب الجولف، ورأى العقيد حقيبة الجولف ملقاة على إحدى الأرائك. قال المفتش:

– كان قد عاد لتوه من حلبة الجولف، وكانت الساعة الخامسة والربع، فطلب أن يحضروا له الشاي في قاعة المكتبة، ثم استدعى خادمه الخاص، وطلب إليه أن يأتي بحذاء خفيف.. وكان الخادم الخاص – فيما نعلم – هو آخر من رآه على قيد الحياة. فأطرق "**ميلروز**" برأسه، وفكر لحظة، ثم نظر إلى المكتب. كانت بعض التحف والأدوات على المكتب مقلوبة، أو محطمة، ورأى العقيد في وسط المكتب ساعة كبيرة مقلوبة على جنبها. قال المفتش:

– من حسن الحظ أن الساعة انقلبت وتعطلت وتوقفت عقاربها عند الساعة السادسة والنصف، وهذا دليل واضح على أن الجريمة ارتكبت في هذا الوقت..

– نعم أيها المفتش.. إنه دليل واضح، بل وشديد الوضوح إلى حد يثير الريبة. وتحول إلى السيد "**كوين**" كأنما ليستطلع رأيه فقال هذا:

– هل تعني أن الساعات لا تسقط هكذا؟ فنظر إليه العقيد بحدة، ثم نظر إلى الساعة، ومد يده وأقام الساعة على قوائمها، وضرب سطح المكتب بقبضة يده ضربة قوية، فاهتزت الساعة بعنف ولكنها لم تسقط، وأعاد العقيد الكَرَّة، فاهتزت الساعة، ثم انقلبت على ظهرها ببطء. سأل:

– متى اكتشفت الجريمة؟ فأجاب المفتش:

– حوالي الساعة السابعة يا سيدي.

– ومن الذي اكتشفها؟

– كبير الخدم.

– أحضروه.. أريد أن أتحدث إليه الآن. وبهذه المناسبة.. أين الليدي "**دوايتون**"؟

– في مخدعها يا سيدي، وتقول وصيفتها إنها في حالة انهيار تام، ولا تستطيع مقابلة أحد. فأطرق "**ميلروز**" برأسه، وانطلق المفتش "**كيرتس**" للبحث عن الخادم الخاص.

ولاحظ "**ساترثويت**" أن السيد "**كوين**" ينظر إلى المدفأة وعلى وجهه دلائل التفكير، حذا حذوه، ونظر إلى المدفأة، وبهر عينيه وهج الكتل الخشبية المحترقة، لكنه لمح شيئا يتألق عند حافة المدفأة، فانحنى والتقطه وتأمله.. ووجد أنه قطعة صغيرة مقوسة من الزجاج.. وفي هذه اللحظة دخل كبير الخدم وقال بصوت متهدج:

– هل طلبتني يا سيدي؟ فوضع "**ساترثويت**" قطعة الزجاج في جيبه، ونظر إلى الباب حيث وقف الخادم العجوز وقال العقيد برفق:

– اجلس يا "**مايلز**".. إنك ترتجف من قمة رأسك إلى أخمصي قدميك.. كان الحادث صدمة قاسية لك بطبيعة الحال.

– نعم يا سيدي.

– إنني لن أستبقيك طويلا يا "**مايلز**".. قيل لي إن سيدك عاد قبل الساعة الخامسة بقليل فهل هذا صحيح؟

– نعم يا سيدي. وقد طلب موافاته بالشاي هنا، وعندما عدت لأخذ أدوات الشاي، طلب إليَّ أن أبعث إليه "**جنجز**".. خادمه الخاص.

– كم كانت الساعة وقتئذ؟

– كانت حوالي السادسة وعشر دقائق.

– وماذا حدث بعد ذلك؟

– أرسلت إلى "**جنجز**" من ينبئه بأن السيد يطلبه، وفي الساعة السابعة جئت إلى هنا لكي أغلق النوافذ وأسدل الستائر فرأيت... فقاطعه "**ميلروز**" قائلا:

– نعم.. نعم.. لا ضرورة لأن تصف ذلك مرة أخرى.. إنك لم تمس الجثة، ولم تعبث بشيء.. أليس كذلك؟

– بلى يا سيدي.. وقد غادرت الغرفة بأقصى سرعة لكي أتصل بالبوليس.

– ثم؟

– ثم طلبت إلى "**جانيت**" – وصيفة "**الليدي**" – أن تنهي النبأ إلى سيدتها.

– ألم تر "**الليدي**" طوال هذا المساء؟ ألقى العقيد هذا السؤال ببساطة، ولكن "**ساترثويت**" لاحظ في صوته نبرة قلق لا تدركها إلا الأذن المرهفة. أجاب كبير الخدم:

– إنني لم أتحدث إليها يا سيدي؛ لأنها لزمت مخدعها بعد المأساة. فقال العقيد بسرعة، وبصوت حاد:

– ألم ترها قبلها؟ ولاحظ الجميع أن كبير الخدم قد تردد قبل أن يجيب:

– إنني.. إنني لمحتها حين هبطت السلم.

– هل كانت في طريقها إلى هنا؟ وحبس "**ساترثويت**" أنفاسه. قال كبير الخدم:

– أظن.. أظن ذلك يا سيدي.

– كم كانت الساعة وقتئذ؟ وساد سكون رهيب، كان يمكن في خلاله أن تسمع صوت سقوط دبوس، وتساءل "**ساترثويت**".. ترى هل أدرك الرجل ما وراء هذا السؤال؟ وهل عرف النتائج الخطيرة التي ستترتب على جوابه؟ قال كبير الخدم:

– كانت الساعة قد تجاوزت السادسة والنصف يا سيدي.. فتنهد العقيد

"**ميلروز**" وقال:

– حسنا.. هذا يكفي، وشكرا لك يا "**مايلز**".. أرجوك أن ترسل "**جنجز**" لمقابلتنا.

– 2 –

وجاء "**جنجز**" فوراً. كان رجلا غائر الصدغين، يمشي بخفة القط، وفي مظهره وحركاته غموض ودهاء. قال "**ساترثويت**" لنفسه:

"هذا الرجل من الطراز الذي يمكن أن يقتل سيده إذا وثق بأن أمره لن يفتضح".

*****

وأصغى "**ساترثويت**" باهتمام إلى أجوبة "**جنجز**" عن أسئلة العقيد، وكانت أجوبة صريحة، وصادقة، وليس فيها لف أو دوران.. قال إنه أحضر لسيده حذاء خفيفا، وأخذ حذاء الجولف لتنظيفه.

– وماذا فعلت بعد ذلك يا "**جنجز**"؟

– عدت إلى جناح الخدم.

– كم كانت الساعة عندما تركت سيدك؟

– كانت حوالي السادسة والربع.

– وأين كنت في الساعة السادسة والنصف يا "**جنجز**"؟

– في جناح الخدم يا سيدي.

– حسنا، يمكنك أن تنصرف الآن.

*****

وانتظر العقيد حتى غادر الخادم الغرفة ثم نظر إلى "**كيرتس**" متسائلا.. فقال هذا:

– إنه لم يكذب يا سيدي، لقد تحققت من صدق أقواله، وثبت لي أنه كان في جناح الخدم من السادسة وعشرين دقيقة حتى السابعة. فقال العقيد بشيء من الأسف:

– هو بريء إذن، أضف إلى ذلك أنه ليس لديه دافع لارتكاب الجريمة. وفي هذه اللحظة، طرق باب الغرفة فنظر الرجال الثلاثة إلى بعضهم بعضا، وقال العقيد:

– ادخل.. وفُتح الباب، ودخلت الوصيفة وعلى وجهها دلائل الذعر. قالت:

– لقد علمتْ سيدتي أن العقيد "**ميلروز**" موجود هنا، وهي تود مقابلته، فقال العقيد:

– سأذهب إليها فورا.. هل لك أن ترشديني إلى الطريق؟

ولكن يدا امتدت في هذه اللحظة، ونحت الوصيفة جانبا، ورأى الرجال الثلاثة الليدي "**لورا دوايتون**" على عتبة الباب.. أشبه بزائرة من عالم آخر. كانت ترتدي غلالة زرقاء ملتصقة بجسدها، وشعرها الأحمر مفروق من الوسط ومعقود خلف رأسها، وقد توكات بأحد ساعديها العاريين على الباب، بينما تدلى من يدها الأخرى كتاب. ونظر إليها "**ساترثويت**" مبهورا، وقال لنفسه: "ما أشبهها بالعذراء في بعض اللوحات الإيطالية القديمة!".

*****

ووقفت "**الليدي**" بالباب تترنح يمينا ويسارا، فأسرع العقيد نحوها. قالت:

– لقد جئت لكي أقول لك... قال "**ميلروز**" وهو يحيطها بساعده حتى لا تسقط:

– مهلا يا ليدي "**دوايتون**".. مهلا. واجتاز بها المكان، وقادها إلى غرفة صغيرة

ملحقة بقاعة المكتبة، وتبعهما "**كوين**" و "**ساترثويت**".

وتهالكت "**الليدي**" على أحد المقاعد، وأغمضت عينيها، بينما وقف الرجال الثلاثة يرقبونها. ثم فجأة، رفعت رأسها وفتحت عينيها. وقالت بكل هدوء:

– إنني قتلته.. لقد جئت لكي أقول لك إنني قتلته. فساد صمت مؤلم استمر نحو دقيقة، وأحس "**ساترثويت**" كأن قلبه قد فقد إحدى نبضاته. وأخيرا قال "**ميلروز**":

– إنني أعلم أن الصدمة كانت شديدة الوطأة يا ليدي "**دوايتون**"، ولا أظن أنك تفقهين ما تقولين. وقال "**ساترثويت**" لنفسه وقد تعلقت عيناه بشفتيها: "تُرى هل ستتراجع الآن.. بينما الفرصة سانحة؟".

– 3 –

قالت الليدي "**دوايتون**" بهدوء:

– إنني أعرف جيدا ما أقول.. أنا التي قتلته.. فشهق اثنان من الرجال، أما الثالث فإنه ظل على هدوئه. وانحنت "**لورا دوايتون**" إلى الأمام وقالت:

– ألا تفهمني؟ إنني جئت إلى هنا، وأطلقت عليه الرصاص.. إنني أعترف بذلك. وسقط الكتاب الذي كان بيدها، وسقط من بين صفحاته خنجر صغير ذو مقبض مرصع، من نوع الخناجر التي تستخدم في قطع الورق، فتناوله "**ساترثويت**" ووضعه على المائدة وهو يقول لنفسه:

« هذه لعبة خطرة يمكن أن تقتل إنسانا". وتابعت "**لورا دوايتون**" قائلة بضجر ونفاد صبر:

– حسنا.. ماذا ستفعل الآن؟ ألا تقبض عليّ؟ ووجد "**ميلروز**" صوته بصعوبة. قال:

– إن ما ذكرته لي الآن خطير للغاية يا ليدي "**دوايتون**"، وإني أرجوك أن

تعودي إلى مخدعك حتى أتخذ بعض الإجراءات الضرورية. فنهضت، وسارت إلى الباب بهدوء وثبات.. وقبل أن تصل إليه قال السيد "**كوين**":

– وماذا فعلت بالمسدس يا ليدي "**دوايتون**"؟ فدارت على عقبيها، وبدا التردد على وجهها. وقالت:

– إنني.. إنني ألقيت به على أرض الغرفة.. كلا.. أظن أنني ألقيت به من النافذة.. الواقع أنني لا أذكر الآن.. لكن ما أهمية ذلك؟ إنني لم أكن لأعرف ما أنا فاعلته. فقال "**كوين**" بهدوء:

– نعم.. ذلك لا أهمية له.

فنظرت إليه بمزيج من الحيرة والقلق، ثم رفعت رأسها بحدة، وغادرت الغرفة بعظمة. أسرع "**ساترثويت**" وراءها، فقد خشي أن تنهار وتسقط على الأرض في أية لحظة، ولكنها مضت في طريقها، وراحت تصعد درج السلم بثبات، دون أن يبدو عليها أي أثر للضعف أو التخاذل، وكانت الوصيفة تنتظر سيدتها في أسفل الدرج فقال لها "**ساترثويت**":

– اسهري على سيدتك جيدا. فقالت الوصيفة وهي تتأهب لارتقاء درج السلم في أثر سيدتها:

– سأفعل يا سيدي.. لكن حدثني بربك.. هل يرتابون فيه؟

– فيمن؟

– "**جنجز**" يا سيدي.. إنه إنسان طيب لا يؤذي ذبابة.

– "**جنجز**"؟! كلا.. لا أحد يرتاب فيه.. اذهبي أنت الآن واسهري على سيدتك. وأسرعت الفتاة في أثر سيدتها، وعاد "**ساترثويت**" إلى الغرفة. وسمع "**ميلروز**" يقول:

– الحق أنني في أشد الحيرة.. لابد أن وراء الأكمة ما وراءها.. إنها تتكلم كإحدى البطلات الحمقاوات اللائي تزخر بهن الروايات الرخيصة. فقال "**ساترثويت**":

– نعم.. إن ما سمعناه الآن لا يحدث إلا على المسارح. فقال "**كوين**" وهو ينظر إلى "**ساترثويت**":

– أرى أنك شغوف بالمواقف الدرامية، وتقدر التمثيل الجيد. فنظر إليه "**ساترثويت**" بحدة. وفي هذه اللحظة، طرق آذانهم صوت بعيد. فقال "**ميلروز**":

– يخيل إليَّ أنه صوت رصاصة أطلقها أحد حراس الغابة، ومن المحتمل أن تكون الليدي "**دوايتون**" قد سمعت صوتا كهذا، فجاءت لاستطلاع الأمر وتبادر إلى ذهنها أن... وقبل أن يتم عبارته، فتح الباب، وقال كبير الخدم:

– السيد "**ديلانجوا**" يا سيدي.

– مَنْ؟

– السيد "**ديلانجوا**".. إنه جاء الآن ويود التحدث إليك. فاعتدل العقيد في مقعده وقال:

– دعه يدخل. ودخل "**بول ديلانجوا**". كان في مظهره وحركاته شيء (غير بريطاني)، كما سبق أن قال "**ميلروز**": فهو رشيق الحركة، أسمر البشرة وسيم الطلعة. يُخيل للناظر إليه أنه عاشق من عصر النهضة. كان يحيط به جو شبيه بذلك الذي يحيط بـ "**لورا دوايتون**". قال الشاب وهو يحني قامته بحركة مسرحية:

– طاب مساؤكم أيها السادة. فقال "**ميلروز**" بحدة:

– إنني لا أعرف ماذا تريد يا سيد "**ديلانجوا**"، لكن إذا كان ما تريده لا صلة له بما نحن بصدده فإن... فقاطعه الشاب بأن قال وهو يضحك:

– على العكس يا سيدي.. إنه وثيق الصلة.

– ماذا تعني؟ فقال "**ديلانجوا**" بهدوء:

– أعني أنني جئت لأسلم نفسي بصفتي قاتل السير "**جيمس دوايتون**".

– هل تدرك خطورة هذا الاعتراف؟

– نعم، أدركها تماما. فقال العقيد:

– إنني لا أفهم!

– لا تفهم لماذا أسلم نفسي؟ قل إنه الندم أو وخز الضمير.. قل ما تريد.. إنني قتلته.. وهذا هو المهم. ثم أومأ إلى الخنجر واستطرد قائلا:

– أرى أنك وجدت السلاح الذي ارتكبت به جريمتي.. من سوء الحظ أن الليدي "**دوايتون**" تركته في كتاب كانت تقرؤه.. فقال "**ميلروز**" وهو يتناول الخنجر:

– صبرا لحظة.. هل تريد أن تقول إنك طعنت السير "**جيمس**" بهذا؟

– تمامًا.. إنني دخلت من النافذة، وتسللت خلفه دون أن يشعر بي أو يراني.. وتم كل شيء بسهولة وسرعة. وخرجت كما دخلت.

– من النافذة؟

– من النافذة طبعًا.

– ومتى حدث ذلك؟ فتردد "**ديلانجوا**" لحظة ثم قال:

– دعني أتذكر.. آه.. نعم.. إنني كنت أتحدث إلى حارس الغابة في الساعة السادسة والربع، فقد سمعت دقة ساعة الكنيسة في تلك اللحظة.. لابد من أن الساعة كانت حوالي السادسة والنصف عندما ارتكبت الجريمة. فقال "**ميلروز**" وهو يبتسم:

– تمامًا أيها الشاب.. لقد ارتكبت الجريمة في الساعة السادسة والنصف.. ولكن لعلك سمعت أنها ارتكبت في ذلك الوقت؟ إنها لجريمة عجيبة حقًّا.

– لماذا؟!

– لأن كثيرين اعترفوا بارتكابها.. فقال الشاب بصوت متهدج:

– من الذي اعترف؟

– الليدي "**دوايتون**". فضحك الشاب ضحكة مغتصبة وقال:

– لابد من أنها كانت تهذي.. لو كنت مكانك ما عَوَّلتُ على كلامها. فقال "**ميلروز**":

– لا أظن أنني سأعوِّل على كلامها.. ولكن هناك شيئًا آخر غريبًا في أمر هذه الجريمة.

– ما هو؟ فقال "**ميلروز**":

– لقد اعترفت الليدي "**دوايتون**" بأنها أطلقت الرصاص على السير "**جيمس**"، وأنت اعترفت بأنك طعنته بخنجر.. لكن من حسن حظكما أنه لم يقتل بالرصاص ولم يطعن بخنجر.. لقد هُشِّم رأسه بأداة ثقيلة. فصاح "**ديلانجوا**":

– يا إلهي! ولكن هذا عمل لا تستطيع امرأة أن.. وصمت، وعض شفتيه، فابتسم "**ميلروز**" وقال:

– هذا موقف قرأت عنه كثيرا.. ولكنه لم يحدث أمامي قبل الآن.

– ماذا تعني؟ عن أي موقف تتكلم؟

– موقف شابين أحمقين، يتهم كل منهما نفسه، ظنا منه أن الآخر هو الفاعل.. أظن أننا يجب أن نبدأ من جديد.. فصاح "**ساترثويت**":

– الخادم! لقد حدثتني عنه الوصيفة منذ لحظة، ولكني لم ألق إليها بالا.. كانت تخشى أن نرتاب في أمره.. لابد من أن يكون لديه دافع نحن نجهله.. ولكنها تعرفه.. فقطب "**ميلروز**" حاجبيه. ودق الجرس، فجاء كبير الخدم فقال له:

– قُلْ لليدي "**دوايتون**" أن تتفضل بالحضور. وساد الصمت إلى أن جاءت "**الليدي**" التي ما إن رأت "**ديلانجوا**" حتى بهتت واستندت إلى الجدار لكيلا تسقط، فأسرع "**ميلروز**" إلى نجدتها وهو يقول:

– إن كل شيء على ما يرام يا ليدي "**دوايتون**"، فلا تنزعجي. فقالت:

– إنني لا أفهم.. ماذا يفعل السيد "**ديلانجوا**" هنا؟! فهتف "**ديلانجوا**" وهو يقترب منها:

– "**لورا**".. "**لورا**".. لماذا فعلت ذلك؟

– فعلت ذلك؟

– لماذا اعترفت؟ أنا أعرف لماذا.. إنك ظننت أنني الفاعل.. يا لك من ملاك كريم! فسعل العقيد "**ميلروز**".. كان نفوره من المواقف العاطفية لا حد له.. ثم قال:

– اسمحي لي يا ليدي "**دوايتون**" بأن أقول لك إنك والسيد "**ديلانجوا**" قد نجوتما بأعجوبة.. إنه جاء في التو واللحظة ليعترف بأنه الذي ارتكب الجريمة.. كَلاً.. اطمئني.. إنه لم يرتكبها.. ولكننا نريد الآن أن نعرف الحقيقة بلا لف أو دوران.. قال كبير الخدم إنك ذهبت إلى المكتبة في الساعة السادسة والنصف فهل هذا صحيح؟ فنظرت "**لورا**" إلى "**ديلانجوا**" وأومأ هذا برأسه قائلاً:

– قولي الحقيقة يا "**لورا**".. إننا جميعًا ننشد الحقيقة.. فتنهدت وقالت:

– سأقول الحقيقة.. وجلست على المقعد الذي قدمه إليها "**ساترثويت**" قائلة:

– إنني هبطت درج السلم، وفتحت باب المكتبة، ورأيت... وصمتت، وازدردت لعابها بصعوبة، فاقترب منها "**ساترثويت**"، ربت يدها مطمئنا وقال:

– نعم.. ماذا رأيت؟

– رأيت زوجي منكفئا على المكتب، والدم يسيل من رأسه.. أواه.. يا إلهي!

ودفنت وجهها بين كفيها.. فقال "**ميلروز**" وهو ينحني فوقها:

– معذرة يا ليدي "**دوايتون**".. لكن هل ظننت ان السيد "**ديلانجوا**" أطلق عليه الرصاص؟ فاطرقت برأسها علامة الإيجاب وقالت بتوسل:

– معذرة يا "**بول**".. إنك قلت مرة إن.. فقال "**ديلانجوا**":

– قلت إنني سأقتله رميًا بالرصاص كالكلب.. نعم، أذكر أنني قلت ذلك عندما علمت أنه هددك. فقال العقيد:

– هل أفهم من ذلك يا ليدي "**دوايتون**" أنك بعد أن رأيت جثة زوجك، صعدت إلى غرفتك دون أن تقولي شيئا؟ لا ضرورة لأن تذكري الأسباب.. لكن

هل أنت واثقة بأنك لم تمسي الجثة ولم تقتربي من المكتب؟ فمرت بجسدها رعدة وقالت:

– نعم، إنني انطلقت إلى غرفتي توًّا.

– كم كانت الساعة بالضبط حينذاك؟

– كانت الساعة السادسة والنصف تمامًا عندما عدت إلى غرفتي. فقال العقيد وهو ينظر إلى زميليه:

– معنى هذا أن السير "**جيمس**" كان ميتا فعلا في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والعشرين، ومعناه أيضا أن هناك من عبث بعقربي الساعة، وجعلهما يشيران إلى السادسة والنصف.. ذلك ما توقعته منذ البداية.. فليس أيسر على الإنسان من تحريك العقربين لكي يشيرا إلى الوقت الذي يريده.. ولكن الغلطة التي وقع فيها من عبث بالعقربين، هو أنه وضع الساعة على جنبها بهذه الطريقة.

على كل حال، فإن مجال الاشتباه قد ضاق الآن وتركز في شخصين، كبير الخدم و"**جنجز**".. وأنا لا أصدق أبداً أن كبير الخدم قد قتل سيده.. لكن حدثيني يا ليدي "**دوايتون**".. هل كان "**جنجز**" يحقد على زوجك لسبب ما؟ فرفعت "**لورا**" وجهها من بين كفيها وقالت:

– إنه لم يكن ليحقد عليه.. لكن.. لقد ذكر لي "**جيمس**" صباح اليوم أنه طرد "**جنجز**"؛ لأنه اكتشف أنه يسرقه.

– أحقًّا؟ يبدو أننا قد أمسكنا بطرف الخيط.. إن طرد "**جنجز**" بسبب السرقة، معناه الحرمان من شهادة حسن السير والسلوك.. وهذا أمر خطير بالنسبة إليَّ. فقالت "**لورا**":

– إنني سمعتك تتحدث عن ساعة المكتب.. ولكن هناك أملاً في إمكان تحديد وقت ارتكاب الجريمة، لقد تعود "**جيمس**" أن يضع في جيبه ساعة خاصة للعبة الجولف، أفلا يحتمل أن تكون هذه الساعة قد تعطلت على أثر إصابته وسقوطه

أمام المكتب؟ فقال العقيد ببطء:

– هذه فكرة وجيهة.. ابحث عن هذه الساعة يا "**كيرتس**". فخرج المفتش مسرعًا، وعاد بعد دقيقة، وفي يده ساعة فضية صغيرة. ذات غطاء من الفضة، وهي من النوع الذي يباع لهواة الجولف لكي يضعها اللاعب في جيبه مع الكُرَاتِ. قال:

– ها هي الساعة يا سيدي، ولكني لا أظن أنها ستفيدنا؛ لأنها من النوع المتين الذي قلما يكسر أو يعطب. فتناول العقيد الساعة ووضعها على أذنه، وقال بعد قليل:

– يُخيَّل إليَّ أنها توقفت. وضغط زرًّا صغيرًا، ففتح غطاء الساعة.. ووجد العقيد الزجاج مكسورًا، وأن العقربين قد توقفا عند الساعة السادسة والربع.

– 4 –

قال السيد "**كوين**":

– هذا نبيذ جيد يا عقيد "**ميلروز**". كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة، وكان الرجال الثلاثة قد فرغوا لتوهم من تناول العشاء في بيت العقيد. قال "**ساترثويت**":

– يُخيَّل إليَّ يا سيد "**كوين**" أن العناية الإلهية قد أرسلتك الليلة خصوصًا لتنقذ حياة شابين كانا يريدان أن يضعا عنقيهما في حبل المشنقة.

– أحقًّا؟ كلا بالتأكيد.. إنني لم أفعل شيئا مطلقًا. فقال "**ساترثويت**":

– إنني لن أنسى ما حييت لحظة أن قالت الليدي "**دوايتون**": (أنا قتلته).. كان الموقف رهيبًا، ولا أذكر أنني رأيت على المسرح مشهداً أشد وقعًا منه. فقال "**كوين**":

– إنني أوافقك على هذا. فقال العقيد، ربما للمرة العشرين في ذلك المساء:

– إنني لم أصدق أن شيئا كهذا يمكن أن يحدث خارج القصص. فقال "**ساترثويت**" :

– لقد كانت الليدي "**دوايتون**" عظيمة حقًا، ولكنها ارتكبت خطأ واحداً، هو أنها توهمت أن زوجها قُتل بالرصاص.. كذلك كان "**ديلانجوا**" مغفَّلاً حين اعتقد أنه طُعن بخنجر، لا لشيء إلا لأنه رأى على المائدة أمامنا خنجراً أحضرته "**الليدي**" معها بطريق المصادفة. فتساءل "**كوين**" :

– أحقًا أنها أحضرته بطريق المصادفة؟ فقال "**ساترثويت**" :

– لو أنهما اقتصرا على القول إنهما قتلا السير "**جيمس**" دون أن يذكرا التفاصيل، ماذا كان يمكن أن تكون النتيجة؟ فقال "**كوين**" وعلى شفتيه ابتسامة غريبة :

– كنا سنصدقهما. فقال العقيد :

– إن الحادث كان يبدو كقصة خيالية. فقال "**كوين**" :

– أظن أنهما استوحيا الفكرة من إحدى القصص الخيالية. فقال "**ساترثويت**" :

– ربما.. إن ما يقرؤه الإنسان كثيراً ما يعود إلى ذهنه بطريقة غريبة. ثم نظر إلى "**كوين**" وتابع قائلا :

– طبيعي أن موضوع الساعة كان يدعو إلى الريبة منذ البداية.. وكما قال العقيد، ليس أيسر على الإنسان من العبث بالعقارب لتقديم الساعة أو تأخيرها. فاومأ "**كوين**" برأسه موافقًا وردد الكلمات الأخيرة :

– نعم.. تقديم الساعة أو تأخيرها. ونظر إلى "**ساترثويت**"، ولمعت عيناه السوداوان، فقال هذا :

– نحن نعلم أن عقربي ساعة المكتب قد قدما. فقال "**كوين**" :

– أحقًا؟ فحملق "**ساترثويت**" إلى وجهه وقال ببطء :

– هل تعني أن ساعة الجولف هي التي أخرت؟ ولكن هذا غير معقول.. هذا مستحيل! فتمتم "**كوين**" قائلا :

– ليس مستحيلا.

– ولكن لمصلحة مَنْ أُخِّرَ عقربا ساعة الجولف؟

– لمصلحة شخص يستطيع إثبات وجوده في مكان آخر في ذلك الوقت. فصاح العقيد:

– يا إلهي! ذلك هو الوقت الذي قال "**ديلانجوا**" إنه كان يتحدث فيه إلى حارس الغابة. فقال "**ساترثويت**":

– نعم، إنه كان حريصًا على تأكيد ذلك. ونظر الرجال الثلاثة إلى بعضهم بعضا، وشعروا كما لو كانت الأرض التي يقفون عليها قد انهارت تحت أقدامهم. وأخذت الحقائق تدور في أذهانهم وتبدو في صورة جديدة. فقال "**ميلروز**":

– إذا صح ذلك فإن.. وكان "**ساترثويت**" أسرع منه تفكيرًا وأحد ذكاءً فأتم عبارته. قائلاً:

– إذا صح ذلك فإن الموقف يختلف، ويتغير من أساسه. إن الخطة مدبرة.. ليس في ذلك شك، ولكنها مدبرة ضد الخادم "**جنجز**".. لكن هذا مستحيل.. لماذا راح كل منهما يتهم نفسه إذن؟ فقال "**كوين**" بصوت هادئ خافت:

– إنكما كنتما ترتابان فيهما قبل أن يتهم كل منهما نفسه.. أليس كذلك؟ فلما فعلا ما يفعله البطل والبطلة البريئان في القصص، أيقنتما أنهما بريئان.. استنادا إلى السوابق المماثلة في القصص.. لقد قال العقيد إن كل شيء يبدو وكأنه قصة من نسج الخيال، وقال السيد "**ساترثويت**" إنه أروع من أي مشهد مسرحي، وكنتما على صواب فيما ذهبتما إليه. فقال "**ساترثويت**":

– تذكرت الآن شيئا قاله كبير الخدم.. قال إنه ذهب في الساعة السابعة لكي يغلق نوافذ قاعة المكتبة.. وهذا يعني أنه كان يعلم أن النوافذ مفتوحة. فقال "**كوين**":

– لقد دخل "**ديلانجوا**" من إحدى النوافذ المفتوحة.. وقتل السير "**جيمس**" بضربة واحدة.. ثم فعل هو والليدي "**دوايتون**" ما كان عليهما أن يفعلاه. ونظر

إلى "**ساترثويت**" ليشجعه على تصوير الحادث فقال هذا بشيء من التردد :

– إنهما هشما ساعة المكتب ووضعاها على جنبها، ثم عبثا بعقربي ساعة الجولف وهشماها، وخرج "**ديلانجوا**" بعد ذلك من النافذة، وأغلقت "**الليدي**" النافذة بعد خروجه.. ولكن هناك أمراً يحيرني.. وهو لماذا عبثا بساعة الجولف؟ ولماذا لم يعمدا تأخير ساعة المكتب؟ فقال "**كوين**" :

– لأن ساعة المكتب كانت في مكان ظاهر.. ولأنه كان من الطبيعي أن يرتاب المحقق في أن بعضهم قد عبث بعقربيها. ولكن فكرة ساعة الجولف كانت بعيدة عن الأذهان. وقد خطرت ببالنا مصادفة. فقال "**كوين**" :

– كلا... لا تنس أن "**الليدي** "كانت صاحبة الفكرة. فنظر إليه "**ساترثويت**" بدهشة وعجب.. وأردف "**كوين**" قائلاً :

– ومع ذلك فإن الشخص الوحيد الذي لا يمكن أن ينسى ساعة الجولف، هو "**جنجز**"، الخادم الخاص.. إن الخادم الخاص يعرف أكثر من أي إنسان آخر ما هي الأشياء التي في جيب سيده. ولو كان "**جنجز**" قد عبث بساعة المكتب.. فإنه لابد أن يعبث أيضا بساعة الجولف. إن هذين العاشقين الأحمقين لا يعرفان الطبيعة البشرية.. وليست لهما براعة السيد "**ساترثويت**". فهز "**ساترثويت**" رأسه وقال بتواضع :

– إنني كنت مخطئا على طول الخط، فقد ظننت أن العناية الإلهية أرسلتك لإنقاذهما. فقال "**كوين**" :

– إنني أنقذت عاشقين آخرين.. هل رأيت وصيفة "**الليدي**"؟ إنها لا ترتدي ثوباً من حرير.. ولا تمثل دوراً درامياً.. ولكنها جميلة حقاً، وأظن أنها تحب "**جنجز**" بإخلاص.. وأعتقد أنك والعقيد تستطيعان التعاون لإنقاذ هذا الرجل من المشنقة. فقال العقيد :

– لكن ليس لدينا أي دليل من أي نوع. فابتسم السيد "**كوين**" وقال :

– إن الدليل لدى السيد "**ساترثويت**". فهتف "**ساترثويت**" بدهشة :

– لديَّ أنا؟!

– إن لديك الدليل على أن ساعة الجولف لم تتهشم في جيب السير "**جيمس**" .. إن ساعة كهذه لا يمكن أن يتهشم زجاجها إلا إذا فُتِحَ غطاؤها. جرب ذلك بنفسك وسترى أنني على صواب. لقد أخذ أحدهم الساعة من جيب السير "**جيمس**" وفتحها وأخَّرَ عقربيها، ثم حَطَّم زجاجها وأغلقها وأعادها إلى جيب القتيل، ولم يلاحظ الشخص الذي فعل ذلك أن زجاج الساعة تنقصه قطعة. فصاح "**ساترثويت**" :

– آه.. ومد يده إلى جيبه بسرعة، وأخرج قطعة الزجاج المقوسة التي التقطها من المدفأة. قال في خيلاء وهو يلوح بقطعة الزجاج:

– بهذه سننقذ حياة إنسان.

*****

عقد الزمرد

أهم الشخصيات :

– "**آرثر سومرنر**" : ثري كهل يصطاف برفقة زوجته.

– "**نورين**" : زوجة "**آرثر**" شابة جذابة.

– "**بوب**" : صديق الأسرة.

– "**جورج كرام**" : جار السيد "**آرثر**" ومعه زوجته.

– "**بيرسي جانر**" : جار السيد "**آرثر**" ومعه والدته.

– السيدة "**بيكمان**" : ثرية مشهورة.

– المفتش "**فولي**" : من رجال الشرطة.

– الآنسة "**أليس جونز**" : شرطية.

- 1 -

صفا الجو ورق النسيم لأول مرة منذ عدة أيام، فامتلأ الشاطئ بالمصطافين ونشطت حركة الشباب فوق الرمال وبين المقاعد والمظلات، وساد جو المرح والانطلاق المألوف في الشواطئ في فصل الصيف. ركن واحد في أقصى الشاطئ كان يتميز بهدوء نسبي، وفي هذا الركن، أمام ثلاث كبائن متجاورة وشبه منعزلة عن الكبائن الأخرى، وتحت إحدى المظلات.. جلس زوجان متقدمان في السن، الرجل يقرأ إحدى الصحف المحلية، والزوجة البدين الصارمة الوجه تعمل بإبرتها بنشاط دون أن تنظر يمنة أو يسرة، ودون أن تحفل بما يجري حولها.

وعلى بعد بضعة أمتار من الزوجين، أمام الكبينة التي في أقصى اليمين، كان يجلس على أحد المقاعد رجل في العقد الخامس من عمره. يلتف برداء ثقيل، ويضع حول عنقه شملة من الصوف، ويمسك بيده عصا ضخمة. كان نحيل الوجه، مجعد البشرة، تبدو عليه علامات التعب والإعياء. وعلى مقربة منه، كانت توجد كومة من الثياب، تدل على أنها لرجل وامرأة، وقد خلعاها على الشاطئ وتركاها فوق الرمال على نحو ما يفعل المصطافون الذين لا يملكون كبائن.

كان صاحبا هذه الثياب امرأة في مقتبل العمر، لا تتجاوز الثلاثين، وشابا في مثل سنها، قوي البنيان مفتول العضلات. تمددا على الأرض بالقرب من ثيابهما، وراحا يتسليان ببناء قصر من الرمال كما يفعل الصغار. قال الشاب وهو يضع قطعة من أصداف البحر على جدار القصر:

- ما رأيك في هذا يا "**نورين**"؟

- رائع. فقال الشاب وهو يرفع رأسه ليتأمل القصر:

- هو ذا قصر الأحلام لفتاة الأحلام. فقالت المرأة الشابة وهي تنظر من ركن عينها إلى العجوز الجالس على المقعد وعصاه في يده:

– حذار يا "**بوب**" وإلا سمعك زوجي. فنظر الشاب بدوره نحو العجوز وقال:

– إنه نائم.

– ولو. فقال "**بوب**" بحماسة الشباب:

– إنني أحبك يا فتاة الأحلام.. أحبك حقًا. ومد يده إلى كيس من الورق بجوارهما، وأخرج منه قطعة من الحلوى، فصاحت "**نورين**":

– تبا لك.. هذه قطعتي المفضلة. وحاولت أن تختطف قطعة الحلوى من يده، ولكنه كان أسبق منها فوضع القطعة في فمه وأغرق في الضحك. مرت في تلك اللحظة إحدى الطائرات النفاثة، فتأملتها "**نورين**" حتى اختفت وتلاشى صوتها ثم قالت:

– هل معك أصداف أخرى يا "**بوب**"؟ فبحث "**بوب**" في الرمال وأخرج صدفة صغيرة قدمها إليها وهو يقول:

– إليك صدفة جميلة مثلك. وقبل أن تتناول الصدفة، سقطت كرة على القصر فهدمت جزءا منه، فرفعت "**نورين**" رأسها ونظرت حولها بدهشة وحنق، ثم نظرت إلى "**بوب**" فقال وهو يضحك:

– وا أسفاه.. ذهب قصر الأحلام. وأقبل شاب يعدو وراء الكرة ورأى ما حدث فنظر إلى "**نورين**" و"**بوب**" وقال:

– آسف... آسف جدًا.. والتقط الكرة وابتعد مسرعًا. وعضت "**نورين**" على شفتها وشرعت في ترميم القصر، فقال "**بوب**":

– أجمل ما في الحياة على الشواطئ، وفرة أسباب التسلية فيها. وأقبل طفل يعدو، وكاد أن يتعثر في القصر ويأتي على ما بقي منه، وجاءت أمه تعدو خلفه، فامسكت به، وقالت تحدثه برفق:

– لماذا لا تريد النزول إلى الماء يا "**بيرت**"؟ فأجاب الطفل:

– لا أريد.

– لماذا جئت بك إلى هنا إذن؟

– لا أريد .

– حسنا . . سأنزل أنا إلى الماء وأدعك وحدك . وتركته ومضت، وانتظر الطفل قليلا ثم انطلق خلفها وهو يبكي . فقالت "**نورين**" :

– عندما جئت إلى الشاطئ لأول مرة وأنا صغيرة، بكيت كهذا الطفل . . وقلت إن الماء مخيف . . وإن الرمال قذرة . . يبدو أن الإنسان لا يستمتع بالشيء في أول تجربة . فقال "**بوب**" بخبث :

– صدقت . . لكن هل ينسحب ذلك على أشياء أخرى غير الشاطئ؟ فقالت وهي تنظر نحو زوجها مرة أخرى :

– صه . . سيصدم "**آرثر**" إذا سمعك . فنظر "**بوب**" بدوره إلى الزوج، ورآه جامدا في مكانه فقال :

– إن "**آرثر**" لا يتأثر ولا يصدم . . أليس كذلك يا سيد "**سومرنر**" ؟ فابتسم "**آرثر**" ابتسامة متعبة ولم يتكلم . . ومدت "**نورين**" يدها إلى كومة الثياب والتقطت قلنسوة وقالت وهي تنهض واقفة :

– سأنزل إلى الماء مرة أخرى . . هلم بنا يا "**بوب**" . فقال "**بوب**" :

– إن الماء بارد .

– يا لك من جبان!

– إن النساء لا يشعرن بالبرد . . كلهن لحم وشحم . قال ذلك وصفع فخذها بيده . قالت :

– إذا لم تكن تريد النزول إلى البحر فدعنا نتسابق حتى آخر الشاطئ . فأجاب وهو ينهض :

– موافق . . وماذا ستكون جائزة الفائز؟

- قطعة من الحلوى.

- إنني أفضل قبلة.

- أيها الفاجر.. سيقتلك "**آرثر**" في أحد الأيام. وانطلقت تعدو خلفه.

وعندئذ فقط رفعت الزوجة البدين التي كان تعمل بإبرتها رأسها، وشيعت "**نورين**" بنظرة استنكار ثم قالت تحدث زوجها:

- الحق أن هذا الشاطئ لم يعد كما كان. ولكن الزوج كان منصرفا إلى قراءة الصحيفة فلم يجب. فقالت المرأة:

- ألم تسمعني يا "**جورج**"؟

- بلى... بلى.

- كنت أقول إن هذا الشاطئ لم يعد كالعهد به.. وإنني أفكر جديا في قضاء الصيف القادم على شاطئ آخر.

- على رسلك.. على رسلك.

- لقد بدأت تتردد عليه أنماط غريبة من البشر.

- صدقت.

- أناس يهرجون ويتصايحون ويتبادلون النكات البذيئة كما لو كانوا وحدهم على الشاطئ.

- لا داعي لأن تنصتي إليهم أيتها العزيزة.

- ماذا قلت؟

- قلت إنه لا داعي لأن تنصتي إليهم. فصاحت بحدة:

- ما هذا السخف يا "**جورج**"؟ كيف لا أنصت وأصواتهم تدوي في الفضاء؟ ألم تسمع قهقهة ذلك الشاب، وعباراته البذيئة؟ والأدهى من ذلك أن المرأة التي

كانت تستمع إليه وتعابثه ليست زوجته.

– وكيف عرفت؟

– إنني أعرف. وقبل أن تسترسل في الكلام سقطت الكرة في حجرها وتدحرجت على الأرض فصاحت:

– ما معنى هذا؟ وأقبل الشاب وراء الكرة وقال يعتذر:

– أنا آسف يا سيدتي. وتناول الكرة وابتعد بها فقالت الزوجة:

– كيف يعجز الآباء والأمهات عن كبح جماح أولادهم على هذا النحو المؤسف؟ فتيان وفتيات شبه عرايا وشبان يقذفون الكرات كيفما يشاءون غير عابئين بأولئك الذي ينشدون الهدوء والراحة.. ويضيقون بالضجة والصخب. فقال "**جورج**":

– إنه الشباب.. الشباب الذي لن يعود إذا ذهب. فاعتدلت الزوجة في جلستها وقالت:

– من الحماقة أن تقول ذلك يا "**جورج**"، فنحن لم نكن لنتصرف على هذا النحو ونحن شباب، وفي عهد أمي كانت للنساء شواطئ خاصة يسبحن فيها بعيدا عن عيون الرجال.

– لا شك في أنه كان نظاما لا يبعث البهجة.

– ماذا قلت؟

– لا شيء.. لا شيء مطلقًا.. يبدو أنه قد حدثت سرقة في هذه المنطقة ليلة أمس.

– سرقة؟!

– نعم.. من الليدي "**بيكمان**".

– الليدي "**بيكمان**" صاحبة معاطف الفراء وسيارات الرولزرويس الجميلة؟ هل هي تقضي الصيف هنا؟

– نعم، لها جناح خاص في فندق (**سبليندادا**).

– وماذا سُرق منها؟ معطف فرو؟

– كلا.. عقد زمرد.

– آه.. لا شك في أن لديها نصف دستة على الأقل من عقود الزمرد.. ومن العجيب أنها شعرت بفقد أحدها.

– يقول البوليس إن السارق من لصوص الفنادق، وإنه تسلق على أنابيب المياه ودخل جناح الليدي بينما كان الجميع في حفلة الرقص التي أقيمت بالفندق أمس.

– لا أظنها حزنت على فقد العقد. وفي هذه اللحظة أقبل حارس الشاطئ، وكان رجلا متقدما في السن، فقال يحيي الزوجين:

– طاب يومك يا سيد "**كرام**"، طاب يومك يا سيدة "**كرام**".. الجو رائع اليوم. فقال "**جورج كرام**":

– حمدا لله، فقد كان البرد شديدا في خلال الأيام الأخيرة. ومضى الحارس في طريقه وهو يجفف عرقه، وتوقف أمام "**آرثر سومرنر**" الذي كان يقرأ إحدى المجلات وقال:

– أربعة بنسات من فضلك. فرفع "**آرثر**" رأسه وقال:

– ماذا؟ فقال حارس الشاطئ:

– أربعة بنسات من فضلك أجر المقعد.

– آه. وأخرج من جيبه شلنا قدمه إلى الحارس، فأعطاه هذا تذكرة، مع باقي الشلن، وقال:

– الطقس جميل اليوم يا سيدي.

– ومع جمال الطقس يكثر رواد الشاطئ.

– وتكثر المتاعب أيضا.. ليتك ترى موقف السيارات في الخارج.. لقد اختلط فيه الحابل بالنابل.. ولن تتمكن بعض السيارات من الخروج قبل ساعات.

– ألا يوجد بالموقف مشرف ينظم حركة السيارات؟

– هناك "**جو**" العجوز.. ولكن السيارات أكثر من أن يستطيع رجل واحد أن ينظمها.. إنها تتوالى كسيل لا ينقطع.. وأصحابها يتركونها في أي مكان يريدون.. آه.. كم كان هذا الشاطئ جميلا عندما لم يكن يفد إليه أكثر من عشرة أو عشرين شخصا.. كلهم من أهل المنطقة، وكلهم ظرفاء ومهذبون، وقلما.. وكف عن الكلام، وأرسل بصره إلى جماعة من الصبية وصاح:

– أنت هناك.. أما كففت عن إلقاء الحجارة؟ ثم نظر إلى ساعة يده، ونفخ في صفارته. وصاح بشاب في أحد القوارب:

– انتهى وقتك الآن.. عُد بالقارب. ثم دار على عقبيه، وعاد من حيث أتى، وهو ينتزع قدميه من الرمال انتزاعا. وأقبلت سيدة متقدمة في السن، يتبعها شاب وسيم تبدو على محياه الدعة والحزن، فقالت السيدة "**كرام**" تحييها:

– طاب يومك يا سيدة "**جانر**". بينما حياها "**جورج كرام**" بأن رفع قبعته، وردت السيدة "**جانر**" التحية، ثم التفتت إلى ابنها الشاب وقالت وهي تخرج مفتاحا من حقيبتها:

– افتح الكبينة يا "**بيرسي**". ففتح "**بيرسي**" الكبينة الوسطى وأحضر منها مقعدا وقال لأمه:

– أين تريدين أن أضعه يا أماه؟

– هنا يا بني. فوضعه حيث أشارت، فقالت:

– والمنشفة يا "**بيرسي**". فأسرع الشاب وأحضر منشفة بسطها فوق المقعد، وقالت السيدة "**جانر**":

– أحسنت يا ولدي. ثم تحولت إلى السيدة "**كرام**" وقالت:

– لا يوجد في الدنيا ولد أبر بأمه من "**بيرسي**"، إنني لا أطالبه بالسهر عليَّ ولطالما قلت له دعني واذهب لتستمتع بوقتك؛ لأننا نحن العجائز يجب أن نضع أنفسنا في المحل الثاني بعد الشباب، ولكنه كان يرفض هذا الكلام.. وأمس، رفض الذهاب إلى السينما لأنني كنت أشعر بصداع. فقالت السيدة "**كرام**":

– ما ألطفه! كم يسعدني سماع مثل هذا الكلام! وقال "**جورج**":

– وهل كنت تشعرين بصداع حقًّا؟

– إنه سرعان ما انتهى.. وأخرجت من حقيبتها إبرة وحزمة من الصوف. فقال "**جورج**":

– أراهن على أن صداعك المزعوم لم يكن له وجود. فنظرت السيدة "**كرام**" إلى زوجها مؤنبة، فكف عن الكلام. وسمع "**بيرسي**" صوتا يناديه:

– "**بيرسي**".. "**بيرسي**".. تعال.. لقد كنا في انتظارك. فاستدارت السيدة "**جانر**" وقالت وهي تظلل عينيها بيدها:

– من هذا يا "**بيرسي**"؟ إنني لا أراه.

– إنه "**طوم**" و "**أيدا**".

– "**أيدا**"؟ هل هي تلك الفتاة ذات الشعر الأحمر؟

– نعم يا أماه.. إن معهما قاربا.. ويريدان أن يصطحباني.

– لا أظن أن الوقت يتسع لذلك يا "**بيرسي**"، ثم إنني قد أحتاج إليك لشراء

حزمة من الصوف قبل أن تغلق الحوانيت أبوابها. فقال **"بيرسي"** وهو مطأطئ الرأس:

- ولكنني وعدتهما يا أماه. فقالت بصوت الأم المعذبة:

- اذهب يا عزيزي ما دمت تريد ذلك.. إنني لا أريد أن أقف في طريقك أو أن أحول بينك وبين الاستمتاع بوقتك.. أنا أعلم أننا معشر العجائز عبء ثقيل على الشباب.

- لا تقولي ذلك يا أماه.

- اذهب يا بني.. وسأحاول شراء الصوف بنفسي إذا كان الجو ملائمًا. ولم يتفاقم الألم الذي أشعر به في قلبي. وهنا سعل **"جورج كرام"** بصوت مسموع. وقال الشاب:

- كلا.. كلا يا أماه.. سأشتري لك الصوف.. وليس من المهم أن أركب القارب.

- الواقع أنك تكره البحر، وتنفر من ركوب السفن منذ صغرك.

- ولكن البحر هادئ اليوم يا أماه.. وعلى كل حال.. سأذهب لأخبرهما.. وابتعد والحزن واضح على محياه. وقالت الأم بارتياح:

- كنت أعلم أنه لا يريد الذهاب.. إنه شاب وديع طيب القلب، ولكن البنات خبيثات ويعرفن كيف يستدرجن الرجال إلى الموافقة على أشياء لا يريدونها.. وهذه الفتاة **"أيدا"**.. إنها ليست من الطراز الذي يلائم **"بيرسي"**. فقالت السيدة **"كرام"**:

- من حسن حظه أنك تتولينه بالرعاية والإرشاد. فقالت السيدة **"جانر"**:

- إذا جاءت فتاة لطيفة مهذبة فإنني سأكون أول من يرحب بها ويوعز إلى

"**بيرسي**" بأن يصادقها. فقال "**جورج**" ساخرا:

– أحقًّا؟ فضحكت السيدة "**جانر**" وقالت:

– إنني لست الأم الغيور التي تضيق بأصدقاء ابنها وصديقاته.. على العكس.. إنني أتمنى أن يزداد "**بيرسي**" اختلاطًا بالناس واندماجًا في المجتمع.. ولكنه يحبني حبًّا شديدًا يتعذر معه إقناعه بالابتعاد عني، ولطالما قال لي: "إنك أحب إليَّ من أية فتاة على وجه الأرض يا أماه".. كلام مضحك.. أليس كذلك؟ فقال "**جورج**":

– مُضحك جدًّا. ومرة أخرى رمقت السيدة "**كرام**" زوجها بنظرة صارمة، وقالت للسيدة "**جانر**" وهي تبتسم:

– يبدو أن هناك قدرًا كبيرًا من الصدق في المثل القائل: (خير أصدقاء الشاب أمه).

– 2 –

بينما السيدة "**جانر**" تتحدث عن ابنها المسكين الذي تحاول بجهلها وأنانيتها أن تمحو شخصيته وتخضع إرادته لإرادتها، بالإطراء تارة وباصطناع الشكوى من الشيخوخة تارة أخرى؛ إذ فتح باب الكبينة الثالثة، وخرجت منه فتاة تكاد أن تكون تمثالا حيًّا لإحدى آلهة الجمال.. ولكنها إلهة جمال عصرية ترتدي (البكيني) الجريء، وتحمل في يدها حقيبة كتبت عليها باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية كلمة (أحبك).

كان ماكياجها مبالغا فيه قليلا، وكان مظهرها يوحي بأنها أجنبية. وقفت الحسناء بباب الكبينة قليلا وقفة عارضة الأزياء حين تعرض فستانا مبتكرا، ولكن

الفستان في هذه المرة كان البشرة الوردية الرقيقة، والبكيني الصغير الجريء، والقوام الساحر، والوجه الفاتن. ثم استدارت لتغلق الباب.

ومن تحصيل الحاصل أن نقول إن ظهورها لفت أنظار الجميع في ذلك الجانب من الشاطئ، فتركت كل من السيدة "**جانر**" والسيدة "**كرام**" إبرتيهما... ونظرتا إلى الحسناء طويلا، من قمة رأسها إلى أخمصي قدميها، ثم نظرت كل منهما إلى الأخرى وقالت السيدة "**جانر**":

– إنها فرنسية.

أما "**جورج كرام**" فإنه انحنى إلى الأمام، وأصلح وضع نظارته على أنفه وحملق نحو الحسناء بعينين تكادان أن تبرزا من محجريهما.

أما "**آرثر سومرنر**" فإنه اعتدل في مقعده فجأة وكأنما لدغته أفعى، ونظر إلى الحسناء بشوق كما لو كان يرى امرأة لأول مرة في حياته.

وأخرجت الحسناء سيجارة من علبة في حقيبتها، وحاولت أن تشعلها بولاعتها ولكن الولاعة تعثرت، فهرول إليها الرجلان وفي يد كل منهما ولاعة، وكان "**جورج**" هو الأسبق، فأشعلت الحسناء سيجارتها بولاعته، ورمته بنظرة تركته لاهث الأنفاس، وقالت بالإنجليزية السقيمة، وبلكنة فرنسية:

– شكرا.. هذا كرم منك. ثم لمحت "**سومرنر**"، فهتفت بتلك اللكنة المحببة:

– ما أغباني! نسيت أن أشكرك أنت أيضا. وقرنت عبارتها بابتسامة رائعة سلبته لُبَّه.

ووقف الرجلان ينظران إليها ببلاهة كصبيين من صبية المدارس، ثم نظر كل منهما إلى الآخر. واستدارا وعاد كل منهما إلى مقعده. فقالت السيدة "**كرام**" لزوجها ببرود:

– ماذا في سينما (البافيون) الليلة يا "**جورج**"؟ فقال وهو لا يزال يحملق نحو الحسناء:

– ماذا؟

– ألم تسمعني يا "**جورج**" ؟

– ماذا قلت؟ فقالت وهي تضغط على مقاطع الكلمات :

– سألتك ماذا في سينما (البافيون) الليلة؟ فتصفح الجريدة بسرعة وأجاب :

– آه . . نعم . . فيلم الليلة : (المرأة التي فتنتني) . ونظر إلى الحسناء، ثم إلى زوجته . ووضعت الحسناء حقيبتها على مقعد، ومدت يدها لترفع خصلة شعر تدلت بين عينيها، وحينئذ وثبت الكرة نحوها، فتجنبتها الحسناء برشاقة، وأقبل الشاب صاحب الكرة يعدو، وأراد أن يعتذر، فتلعثم وأرتج عليه القول، وضحكت الحسناء . قال الشاب :

– أنا . . أنا آسف . . أنا آسف حقًّا .

– لا بأس، لم يحدث ما نأسف عليه .

– هل . . هل أصابتك الكرة؟ فأجابت وهي لا تزال تبتسم :

– كلا . وارتفع صوت فتاة تنادي :

– "**ألفريد**" . فصاح الشاب يجيبها :

– أنا قادم . وقال للحسناء موضحًا :

– إنها أختي . وتناول الكرة وهرول مسرعا، وعيناه لا تفارقان الحسناء، فتعثر وسقط على الأرض، وابتسمت الحسناء وانحنت لتلتقط إحدى الأصداف .

ولاحظت السيدة "**كرام**" أن عيني زوجها لاتتحولان عن الحسناء . فقالت تنتهره :

– "**جورج**" ! فرفع الجريدة بين يديه، وتظاهر بالقراءة، ولكنه ظل يختلس النظرات إلى الحسناء إلى أن تناولت حقيبتها وراحت تتهادى برشاقة وتتحسس

مواقع قدميها وما لبثت أن توارت في الزحام. قالت السيدة "**جانر**" وهي تشيعها ببصرها:

– هذا (المايوه) الذي يسمونه (البكيني).. كيف يسمحون به؟ أليس من واجب أسقف "**كانتربري**" أن يشن عليه حملة شعواء؟ فأجابت السيدة "**كرام**":

– لا توجد فتاة مهذبة ترضى لنفسها أن ترتديه. وأقبل "**بيرسي**" وهو حزين مهموم. فأشرق وجه أمه وصاحت:

– هل فرغت من صديقيك بهذه السرعة يا "**بيرسي**"؟ فأجاب بأسى:

– لقد رحلا.. سأذهب الآن لأشتري لك الصوف يا أماه.

– أظن.. أظن أن ما عندي من الصوف يكفي في الوقت الحاضر.

وكان على الشاطئ بجوار كبينة السيد والسيدة "**كرام**" منظار مكبر يستخدمه المصطافون لمراقبة البواخر المبحرة لقاء أجر معلوم.. فجلس "**بيرسي**" أمام المنظار وحوله في اتجاه الحسناء، ووضع يده في جيبه ليخرج قطعة من النقود يضعها في صندوق المنظار فقالت أمه:

– لا تنفق نقودك على غير طائل يا "**بيرسي**". فقال "**جورج**":

– دعيه ينظر إلى السفن الجميلة. وتنهد الشاب، وأخرج يده من جيبه، وابتعد عن المنظار. وقالت أمه:

– لماذا لا تسبح في الماء يا "**بيرسي**"؟

– ليست بي رغبة في السباحة يا أماه.. ثم إن الماء بارد، وقد بدأت الشمس تغرب.

– إن السباحة تفيدك يا "**بيرسي**". وأنت اليوم في إجازة. ويجب أن تستمتع بها.

– لا سبيل إلى الاستمتاع مع الوحدة يا أماه.

– ألق بنفسك في الماء يا "**بيرسي**"، ولا ضرورة لأن تمكث طويلا. فخلع الشاب قميصه وبنطلونه على كره منه، ووضعهما على مقعد. وكان يرتدي المايوه تحت البنطلون، فقالت أمه:

– ضع ثيابك في الكبينة. فأجاب بضجر:

– لا ضرر من وجودها هنا يا أماه.

*****

وفي هذه اللحظة أقبلت "**نورين**" تعدو والماء يقطر من جسدها وأقبل "**بوب**" خلفها. واصطدمت "**نورين**" بـ"**بيرسي**" فسقط على الأرض. وكادت بدورها أن تسقط فوقه، ولكنها تمالكت نفسها، وقالت وهي ترنو إلى الشاب بدلال:

– أنا آسفة، فإنني قلما أنظر أمامي.

– لا بأس.

– إن الماء رائع ودافئ. فقال "**بوب**":

– لا تصدقها يا بني، إنه بارد كالثلج. ونهض "**بيرسي**" واقفًا، وابتعد وهو ينفض الرمال عن جسده. قالت "**نورين**" وهي تجفف وجهها وساعديها:

– الآن عرفتك على حقيقتك.. أنت إنسان ضعيف متخاذل لا يحتمل برودة الماء. فطوى "**بوب**" ساعده ليستعرض عضلاته وهتف:

– أنا ضعيف متخاذل؟ انظري. فاستلقت "**نورين**" على الأرض أمام القصر الذي شيدته من الرمال، وأسندت رأسها إلى ركبتي زوجها، واستلقى "**بوب**" بجوارها.

ونظرت السيدة "**كرام**" إلى السيدة "**جانر**"، وارتسمت في عيون المرأتين نظرة استنكار. قالت "**نورين**" وهي تلهث:

– إنني أشعر بدوار. فقال "**بوب**":

– استرخي على الرمال وأغمضي عينيك، فيذهب عنك الدوار. عملت "**نورين**" بالنصيحة. وقالت السيدة "**كرام**" تحدث صديقتها:

– هل سمعت عن السرقة التي حدثت أمس؟ لقد سطا بعضهم على الليدي "**بيكمان**".. تلك السيدة التي نرى صورتها دائمًا في الصحف.. صاحبة معاطف الفراء.. لقد سطا عليها أحد اللصوص وسرق عقدها الزمردي. فقالت السيدة "**جانر**":

– أكبر الظن أنها أخفته وزعمت أنه سُرق؛ لكي تحصل على قيمة التأمين.. كلهم يفعلون ذلك. فقال "**جورج**":

– تقول الصحف إن السارق أحد لصوص الفنادق. وقالت زوجته:

– إن لصوص الفنادق يرتعون في المصايف كل عام.. هل تذكر حادث السرقة الذي وقع هنا في العام الماضي يا "**جورج**"؟ كان مرتكبه أيضًا أحد لصوص الفنادق، وكانت الضحية إحدى كوكبات السينما. فقال "**جورج**" وقد غلبه النعاس:

– لست أذكر.

– لابد من أنك تذكر.. لقد أثار الحادث ضجة كبيرة، ونشرت الصحف صورة النافذة.. والأنابيب التي صعد عليها اللص، كما نشرت بضع صور لنجمة السينما في مواقف مختلفة من فيلمها الجديد. فتمتم "**جورج**":

– مجرد دعاية. وأغمض عينيه.

- 3 -

ولم تطل إغفاءة "**جورج**" . فقد طرق أذنيه بعد قليل صوت يقول:

– طاب مساؤك يا سيد "**كرام**" . ففتح عينيه، ليجد على مقربة منه رجلا طويل القامة، في ثياب ضباط الشرطة، ومن خلفه حارس الشاطئ. رد "**جورج**" التحية بقوله:

– طاب مساؤك يا سيد "**فولي**" . وهمست السيدة "**كرام**" تحدث صديقتها:

– هذا هو المفتش "**فولي**" .. إنه يعرفنا منذ العام الماضي.. فنظرت المرأتان إلى مفتش الشرطة، فحياهما بحني رأسه. وقال "**جورج**" :

– كيف حال الجرائم أيها المفتش؟ أم أنك في إجازة ولا ينبغي لي أن أسألك. فأجاب المفتش:

– إنني لست في إجازة مع الأسف.

– لعلك تبحث عن لصوص الفنادق؟

– أصبت. فقال "**جورج**" وهو يومئ نحو الكبائن الثلاث:

– هل لديك أمل في أن تجدهم هنا؟ فأجاب المفتش:

– تدل المعلومات التي وردت إلينا، أن بعض الصبية كانوا يلعبون على الشاطئ بعد حلول الظلام لیلة أمس، فرأوا رجلا يتسلل خلف الكبائن، ولفت أنظارهم وأثار شكوكهم أن الرجل أطلق ساقيه للريح حالما وقع بصره عليهم. فقالت السيدة "**كرام**" :

– لعله كان يريد السطو على إحدى الكبائن. فقال المفتش:

– المفهوم مما ذكره الصبية أنه كان يحاول إلقاء حزمة صغيرة من النافذة الخلفية

لإحدى الكبائن، ولم يدل الصبية بأقوالهم إلا بعد ظهر اليوم، ومن المحتمل أن تكون لهذه القصة صلة بحادث سرقة عقد الليدي "**بيكمان**"، وأن يكون اللص قد حاول إلقاء العقد لأحد شركائه. وكان "**بوب**" ينصت إلى حديث المفتش، فرفع يديه فوق رأسه وقال مداعبًا:

– رائع.. فتشني أيها المفتش.. إنني بريء. فقال "**سومرنر**":

– كفى تهريجًا يا "**بوب**". فصاح الشاب:

– أما زلت على قيد الحياة؟ ظننتك ميتا. فضحكت "**نورين**"، وقال "**جورج**" يحدث المفتش:

– إذن ستقوم بتفتيش الكبائن؟

– الكبائن التي في هذه الناحية فقط.. لقد حدد الصبية المنطقة. وهي تشمل الكبائن الستة الأخيرة. فالتفت "**جورج**" إلى زوجته وقال يعابثها:

– هل وقع بصرك على عقد من الزمرد في كبينتنا؟ فأجابت السيدة "**كرام**" وقد راقتها فكرة أن يكون العقد في كبينتها:

– الواقع أنني لم أر شيئا، ولكن الكبينة مليئة بأشياء كثيرة بعضها فوق بعض، ومن المحتمل أنني لم ألحظ وجود العقد.. اذهب إلى الكبينة وانظر بنفسك أيها المفتش. فقال المفتش وهو يصعد درج السلم الصغير المؤدي إلى الكبينة الأولى إلى اليسار:

– شكرًا لك يا سيدة "**كرام**". فقال "**جورج**":

– هل وجود العقد يعود علينا بأية فائدة أيها المفتش؟ فأجاب المفتش وهو يدخل الكبينة:

– هناك جائزة قدرها ألف جنيه رصدها السير "**روبرت بيكمان**" لمن يجد

العقد أو يرشد إلى مكانه.

– مبلغ لا بأس به. فقال "**بوب**" ضاحكًا:

– إذا وجد العقد عندك فقد يكون نصيبك السجن بتهمة إخفاء أشياء مسروقة. فنظرت إليه السيدة "**كرام**" مستنكرة، وهتف "**بيرسي**"، وكان قد جاء لتوه وسمع العبارة الأخيرة:

– ماذا يحدث هنا؟ فقال "**بوب**" :

– تعال يا بطل.. إننا جميعًا موضع اشتباه.. وخاصة أولئك الذين يمتلكون كبائن على الشاطئ. فقالت "**نورين**" تحدث "**بيرسي**" :

– إنهم يبحثون عن عقد الزمرد الذي سرق من الليدي "**بيكمان**" ليلة أمس. وقالت السيدة "**كرام**" موضحة:

– يبدو أن أحدهم شوهد وهو يلقي به إلى نافذة إحدى الكبائن. فقال "**جورج**" :

– إنهم ليسوا على يقين بأن الشيء الذي أُلقي إلى النافذة هو العقد. فقال "**بوب**" :

– قد يكون رسالة غرام، أو أحد الكتب البذيئة. فصاحت "**نورين**" :

– صه يا "**بوب**".. إنك منحرف التفكير. فضحك "**بوب**" وقال:

– مهما يكن من أمر يا فتاتي فإن موقفنا واضح.. إننا لسنا من المتحذلقين أصحاب الكبائن (ونظر إلى السيدة "**كرام**" من ركن عينه بخبث) ولسنا كذلك من الطبقة الأرستقراطية.

قال ذلك ووضع صدفة على عينه، كأنها مونوكل، مما كان لأهل الطبقة الأرستقراطية. فاستغرقت "**نورين**" في الضحك وقالت السيدة "**جانر**" باستياء:

– أظن أن من يتكبد إيجار كبينة من حقه أن ينعم ببعض الراحة والهدوء أمام

كبينته. فقال "**بوب**":

– هل ثمة مانع من أن ينعم الناس بشيء من المرح؟

– لقد كان هذا الشاطئ دائمًا مكانًا مختارًا لطبقة معينة. فصاح "**بيرسي**":

– كفى يا أماه.. كفى.. لا يجب أن نقول كلامًا لا نعنيه. ثم ابتسم لـ "**بوب**" وأردف:

– نحن جميعًا ننشد قضاء يوم سعيد على شاطئ البحر.

– طبعًا.. طبعًا يا بني.. إنني ما قصدت سوى الدعابة. وخرج المفتش من الكبينة وقال يحدث السيدة "**كرام**":

– الحق أن الكبينة مؤثثة جيدًا يا سيدة "**كرام**". فأجابت:

– إنها بالنسبة إلينا كالبيت.. فيها كل ما نحتاج إليه.. جهاز راديو وجرامفون، وأدوات حياكة.. وأقداح للشاي. فقال المفتش:

– نعم، إن فيها كل شيء.. حتى كدت ألا أجد مكانا لقدمي. ثم التفت إلى حارس الشاطئ وسأله:

– لمن الكبينة الثانية؟ فنظر الحارس في ورقة معه، وقال:

– إنها كبينة السيد "**جانر**". وخرج "**بيرسي**" من الكبينة في تلك اللحظة فسأله المفتش:

– هل هذه كبينتك؟

– نعم.

– هل تسمح لي بأن ألقي نظرة داخلها؟ فقالت السيدة "**جانر**" بلهجة التحدي:

– هل معك أمر بالتفتيش؟ فرفع المفتش حاجبيه بدهشة وأجاب:

– كلا.

– إذن يحسن بك أن تنطلق لتستصدر أمرًا. فصاح "**بيرسي**":

– أماه!

– اصمت أنت يا "**بيرسي**". وهنا قرر حارس الشاطئ التدخل فاقترب من السيدة "**جانر**" وقال لها بهدوء:

– مهلا.. مهلا يا سيدتي.. أظن أنه لا يليق بسيدة محترمة مثلك أن تُرى مع مفتش شرطة في طريقها إلى مركز الشرطة للإدلاء بأقوالها في موضوع العقد؛ لأن ذلك ما سوف يحدث في حالة إصرارك على رفض تفتيش الكبينة. ثم إن المفتش "**فولي**" رجل طيب مهذب، وهو لا ينشد إلا المصلحة، ولا يريد إلا أن يستوثق بأن الكبينة لا يوجد بها ما لا ينبغي وجوده.. ومن أدراك يا سيدتي.. فلعل اللص لم يلق إلى النافذة عقدا من الزمرد، وإنما ألقى قنبلة زمنية.

فهزت فكرة القنبلة أعصاب العجوز، وابتسم "**جورج**"، وضحك "**بوب**". وتمتمت السيدة "**جانر**" قائلة:

– قنبلة زمنية؟ ولكن لماذا؟

– لا أحد يدري في هذه الأيام مع وجود ثوار وإرهابيين. فقالت السيدة "**جانر**" بعظمة:

– حسنًا.. تستطيع أن تدخل الكبينة أيها المفتش. فدخل المفتش الكبينة، وظل الحارس في مكانه فقال له "**جورج**" بصوت خافت:

– أحسنت أيها الحارس.. إنك كنت لبقًا وكيِّسا.

– إن مهنتي تتطلب اللباقة والكياسة.. إنها مهنة المتاعب التي لا تنتهي، ولكن الإنسان يستطيع أن يتجنب المتاعب مع السيدات إذا عرف كيف يتحدث إليهن.

*****

قال "**بوب**" :

– ألف جنيه جائزة! مبلغ يستحق أن يجرب الإنسان حظه للظفر به.. تمامًا كجوائز مراهنات كرة القدم.. أليس كذلك يا "**آرثر**"؟ فقال "**سومرنر**" :

– يجب أن يكون للإنسان عقل لكي يربح في مراهنات كرة القدم. فقالت "**نورين**" :

– إذا عثرت على العقد فسأحتفظ به. ثم لمحت مفتش الشرطة وهو يغادر الكبينة الوسطى، فهمست قائلة:

– يا إلهي! تُرى هل سمعني. وشُوهدت الحسناء في هذه اللحظة وهي تتهادى نحو المنظار المكبر. قال المفتش وهو ينظر إلى الكبينة الثالثة والأخيرة:

– من صاحب هذه الكبينة؟ فنظر الحارس في ورقته وأجاب:

– هذه كبينة السيدة "**مورجاترويد**".. إنني لم أرها في الفترة الأخيرة.. وأعتقد أن الكبينة خالية. قال ذلك وقرع باب الكبينة وصاح:

– هل يوجد هنا أحد؟ فتركت الحسناء المنظار وقالت وهي تقترب من الحارس:

– نعم.. هل تريد شيئا؟ هل أستطيع شيئا؟ فسألها الحارس:

– أليست هذه كبينة السيدة "**مورجاترويد**"؟ فأومأت الحسناء برأسها علامة الإيجاب وقالت:

– بلى، وهي صديقة عمتي، وقد سمحت لي باستعمال الكبينة وأعطتني مفتاحها. وأخرجت الفتاة المفتاح من صدرها. فقال المفتش وهو يتناول المفتاح:

– أنا المفتش "**فولي**".. هل تسمحين لي بإلقاء نظرة؟ فقاطعته قائلة:

– أنت مفتش؟ حقًّا؟ ألست راضيا عن المايوه الذي أرتديه؟ أليس فيه الكفاية؟ ونظرت إلى المايوه البكيني الذي ترتديه، فقال "**جورج**" :

– بل فيه الكفاية. وقال "**بوب**" :

– إنه رائع جدًّا يا آنسة. وقال الحارس:

– الأمر لا يتصل بالمايوه يا آنسة، نحن نعامل المصطافين هنا بعقول متفتحة.. خلافًا لما يحدث في الشواطئ الأخرى.. والواقع أنه حدثت سرقة ليلة أمس، والمفتش يظن أن بعضهم ربما وضع شيئًا.

– لست أفهم.. من الذي وضع الشيء؟ وأي شيء وضع؟ فقال "**جورج**" :

– وضع عقدا من الزمرد.

– عقد من الزمرد في كبينتي؟ لماذا؟ ثم أردفت بالفرنسية:

– مستحيل! إنني لا أفهم! من الذي فعل ذلك؟ لابد من أنه مجنون. فقال "**جورج**" :

– نعم.. إنه مجنون. وقال المفتش:

– هل تسمحين لي بالدخول يا آنسة؟

– نعم، أسمح. وجلست على أحد المقاعد، وسقطت نظارتها على الأرض فأسرع "**بيرسي**" بالتقاطها. فابتسمت له ابتسامة حلوة وقالت:

– أشكرك.. أنت لطيف جدًّا. فتلعثم الشاب واحمر وجهه. قالت له:

– هل كنت في البحر؟ هل الماء بارد جدًّا؟

– آه.. نعم.

– لابد من أنك أشجع مني.. إنني أفقد شجاعتي إذا وجدت الماء باردا. وخرج المفتش من الكبينة وهو يقول:

– لا شيء.. إن الكبينة شبه خاوية. فقالت الحسناء:

– نعم.. نعم.. إنها خاوية.. ليس فيها سوى بعض الأواني النحاسية الرديئة

وبعض الأقداح.. وقليل من البسكويت الإنجليزي.. أنا لا أحب البسكويت الإنجليزي.. ولاحظت السيدة "**جانر**" أن ابنها يقف أمام الحسناء مشدوهًا مبهوتًا، فصاحت به:

– "**بيرسي**".. أسرع بارتداء ثيابك وإلا مُتَّ من البرد. وظل الشاب جامداً في مكانه والحسناء تبتسم له.. ثم أفاق أخيراً من ذهوله وأجاب:

– سأرتدي ثيابي يا أماه. فقال "**سومرنر**":

– نعم.. لقد بدأ الجو يميل إلى البرودة. وانبعثت "**نورين**" واقفة فجأة وقالت:

– ما قولك في شوط على الشاطئ يا "**بوب**"؟ ثم لوحت بيدها لزوجها وصاحت:

– إلى اللقاء يا "**آرثر**". فقال "**بوب**" دون أن يحول عينيه عن الحسناء:

– إلى اللقاء يا "**آرثر**". فصاحت "**نورين**":

– هلم بنا يا "**بوب**".

– كنت أريد التحدث إلى هذه العصفورة.

– لمجرد أنها فرنسية؟ ودفعته أمامها. ونهض "**سومرنر**" من مقعده بصعوبة.. ورفع قبعته للحسناء محييا، ثم أخذ يسير على الشاطئ متوكئًا على عصاه. وشيعته الحسناء ببصرها، وهزت رأسها بحزن وقالت:

– مسكين! ثم أخرجت سيجارة من علبتها وقالت وهي تنظر إلى "**بيرسي**":

– أرجوك.

– إنني في خدمتك يا آنسة.

– ولاعتي.. أصابها عطب. فنهض "**جورج**" وولاعته في يده، ولكن "**بيرسي**" أسرع إليه، وتناول منه الولاعة، وأشعل بها سيجارة الحسناء. فرمته بنظرة جعلت الدم يتدفق في شرايينه، وقالت بصوت موسيقي:

– أشكرك. وصاحت السيدة "**جانر**":

– الجو بارد يا "**بيرسي**".. ارتد ثيابك.

– نعم يا أماه. وأسرع إلى الكبينة. ولكن "**جورج**" استوقفه بقوله:

– ثيابك هنا يا "**روميو**".

وأشار إلى المقعد حيث ترك "**بيرسي**" ثيابه، فعاد الشاب أدراجه وتناول قميصه، ثم اختلط عليه الأمر من فرط اضطرابه وخجله، فأخذ بنطلون "**بوب**" بدلا من بنطلونه، وأسرع إلى داخل الكبينة. وأغلق بابها وراءه. وفجأة، جمعت السيدة "**كرام**" حوائجها ونهضت، وقالت بحزم:

– هلم بنا يا "**جورج**".. دعنا نتناول قدحًا من الشاي في المقصف.

– لا أظن أنني أشعر بحاجة إلى الشاي.

– قلت لك هلم بنا نذهب إلى المقصف لتناول الشاي؟

– حسنا. وأصلحت السيدة "**كرام**" ثيابها، وقالت تحدث السيدة "**جانر**" دون أن تحول عينيها عن الحسناء:

– هل ستأتين يا سيدة "**جانر**"؟ وترددت السيدة "**جانر**"، كانت تتوق إلى قدح من الشاي، ولكنها لم تشأ أن تترك "**بيرسي**" وحده مع الحسناء. فقالت:

– سألحق بك بعد لحظة يا سيدة "**كرام**".

– إن المقصف يغلق أبوابه في الساعة الخامسة.

*****

ونهضت الحسناء عن مقعدها وقالت:

– آن لي أن أنزل إلى البحر. وتناولت قلنسوتها وسارت أمام الكبائن في اللحظة التي خرج فيها "**بيرسي**" مرتديا ثيابه، فوقف يتأملها ويشيعها ببصره. وحينئذ

نهضت السيدة "جانر" وقالت بصوت ثاقب:

- سأتناول الشاي مع السيدة "كرام" في المقصف. فقال الشاب:

- حسنا تفعلين.. إنني لا أريد تناول الشاي وسأتريض على الشاطئ. وتأهب للحاق بالحسناء. فقالت أمه:

- كلا يا "بيرسي".. ابق هنا حتى أعود.. هل فهمت؟ لا تبرح المكان واحرس الكبينة جيدا، فإن الشاطئ مليء باللصوص والشخصيات المريبة هذه الأيام.. افتح عينيك جيداً.. واحرس كذلك كبينة السيدة "كرام".

- حسنا يا أماه. وانضمت السيدة "جانر" إلى السيدة "كرام" وهي تقول:

- لن أذهب إلى المكان الذي كنا فيه بالأمس.. لقد قدموا إليَّ قدحًا ملوثًا بأحمر الشفاه.. ثم إنني لا أحب تلك الفتاة التي تقوم على خدمة الزبائن.. أما "جورج" فإنه تباطأ واقترب من "بيرسي" وقال وهو يغمز بعينه:

- أتمنى لك التوفيق يا بني. ورأى الحزن في عيني الشاب وهو يرسل بصره في أثر الحسناء فاستطرد قائلا:

- أصغ إليَّ يا فتى.. حاول أن تدعم شخصيتك وأن تكون لك إرادة قبل فوات الأوان.

- ماذا تعني؟

- جميل أن تحب أمك وأن تطيعها.. ولكن لا ينبغي لك أن تكون عبداً لها.. افرض نفسك وكن رجلاً.

❁❁❁❁❁

- 4 -

جلس "**بيرسي**" على الشاطئ وحيداً حزيناً.. ووضع يده اليمنى في جيب بنطلونه للبحث عن سيجارة ولم يجد، فدس يده اليسرى في الجيب الآخر، فلمست يده شيئا جعله يقطب ما بين حاجبيه في حيرة وتساؤل. وأخرج يده من جيبه ببطء فإذا بها عقد زمردي، يخطف بريقه الأبصار. نظر إليه بذهول، وارتسم الرعب في عينيه، وأجال الطرف حوله، وأعاد العقد إلى جيبه بسرعة، ثم أخرجه من جيبه مرة أخرى وحملق إليه. وحينئذ سمع صوت "**نورين**". قالت وهي تلهث:

– ناولني المنشفة يا "**بوب**". فدس "**بيرسي**" العقد في جيبه وجلس. قالت "**نورين**":

– سأسبقك في المرة القادمة يا "**بوب**".. إنك تدخن كثيراً ولن تصمد أمامي. فقال "**بوب**" وهو يلهث بدوره:

– أربعون سيجارة فقط كل يوم.. هل هذا إسراف؟ ولاحظت "**نورين**" وجوم "**بيرسي**" فقالت له:

– ما بالك.. هل حدث شيء؟ فأجاب متلعثماً:

– نعم.. لا.

– ألا تحزم رأيك؟ ما معنى نعم ولا؟ أظن أنني يجب أن أرتدي ثيابي.. إن خلع الثياب وارتداءها على الشاطئ فن. ووضعت المنشفة حول صدرها واستطردت قائلة:

– ابتعد يا "**بوب**" حتى أرتدي ثيابي. فقال "**بوب**":

– حسنا.. سأقبع عند المنظار.. وسأغمض عيني. فقالت "**نورين**" تحدث "**بيرسي**":

– سيد . .

– "**بيرسي جانر**" .

– هل لك أن تمسك بالمنشفة لتحجبني عن الأنظار ريثما أخلع الصدرية . . وأجفف صدري؟ فأمسك "**بيرسي**" بالمنشفة، ولكنها أحست بعينيه تطوفان بظهرها فقالت :

– لا تنظر إليّ. فأشاح بوجهه. صاحت :

– الصدرية مليئة بالرمال . . يا إلهي! ونفضت الصدرية مما علق بها من الرمال ثم أحاطت بها صدرها وقالت :

– المشبك . . إنني لا أجد الحلقة . . ساعدنى يا "**بيرسي**" . فأمسك الشاب بطرفي الصدرية، ووضع المشبك في الحلقة، كان شارد الذهن، فلم يفتنه جسدها حين لمسه، وتمتم يحدث نفسه :

– ليتني أعرف ماذا يجب أن أفعل؟

– ماذا بك؟ ألا تعرف كيف تشبك الصدرية؟

– لست أعني هذا. فأخرجت من حقيبتها مشطا ومرآة، وراحت تمشط شعرها . . وسألته بغير اكتراث :

– ماذا بك إذن؟ فأخرج العقد من جيبه وقال :

– انظرى . . لقد وجدت هذا في جيب بنطلوني . فكفت عن تمشيط شعرها، وحملقت إلى العقد، وقالت :

– بحق السماء ماذا . . هل تعني أن هذا هو العقد الذي يبحثون عنه؟

– أظن ذلك . . ما رأيك أنت؟

– وجدته في . . ماذا تعني بقولك إنك وجدته؟ ألم تكن تعلم أنه في جيبك؟

– طبعًا لم أكن لأعلم.. إنه لم يكن في جيبي عندما خلعت البنطلون.

– هل تعني أن شخصًا وضعه في جيبك؟

– لابد من أن يكون الأمر كذلك.

– لكن من الذي وضعه؟ مَنْ؟! ونظرت حولها ببطء ثم هزت رأسها وقالت:

– آه.. فهمت.

– ماذا فهمت؟ فقالت وهي تبحث في حقيبتها:

– أين بنطلوني..؟ آه.. ها هو مليء بالرمال كما هو متوقع. وأخذت في ارتداء بنطلونها، ولاحظت أن "**بيرسي**" يراقبها ولكنها لم تأبه، وعندما فرغت من ارتداء بنطلونها، راحت تستأنف تمشيط شعرها، فقال "**بيرسي**":

–قلت إنك فهمت، فماذا فهمت؟ فجثت بجوار القصر الذي شيدته من الرمال، وفكرت قليلا ثم رفعت رأسها وقالت:

– هي طبعًا.. من سواها؟

– هي؟ تعنين...

– تلك الحسناء الفرنسية.

– مستحيل.

– ذلك هو التفسير الوحيد.. ثيابك كانت هنا أليس كذلك؟ لابد من أن العقد كان في حقيبتها، فلما شرع الشرطي في تفتيش الكبائن.. دست العقد في جيب بنطلونك.

– نعم.. نعم.. أظن أن هذا ما حدث.

– أبشر إذن.. ما عليك الآن إلا أن تذهب به إلى المفتش لتقبض المكافأة.. ألف جنيه.

– وتذهب هي إلى السجن.

– آه.. فهمت. لا تكن مغفلا يا "**بيرسي**". إن هذه الفتاة من العصابة.. لص الفنادق يسرق، ويضع المسروقات في الكبينة.. وتأتي هي في اليوم التالي لتأخذها. ولم يتحمس "**بيرسي**" لهذا الرأي ولكنه قال:

– نعم.. لابد من أن هذه هي الخطة.. ولكن الفتاة. إنها لا تزال في مقتبل العمر.

– من يدري. لعلها تمارس السرقة منذ طفولتها.. إن أمهاتهن يدربنهن على سرقة المتاجر وهن في سن الطفولة. وهنا أقبل "**بوب**" وهو يقول:

– طبعًا لا يهمك أن أموت من البرد.. لماذا لم تقولي إنك فرغت من ارتداء ثيابك؟ فقالت "**نورين**":

– إنني أدخر لك مفاجأة ستذهلك يا "**بوب**".. هذا السيد.. السيد "**بيرسي**".. فقال "**بيرسي**":

– "**بيرسي جانر**"..

– هل تعرف ماذا وجد؟ أغمض عينيك ولا تفتحهما قبل أن أطلب إليك ذلك. فأغمض "**بوب**" عينيه واستدار، وتناولت "**نورين**" العقد من يد "**بيرسي**" وعلقته في أصابعها وقالت:

– الآن افتح عينيك. ففتح "**بوب**" عينيه ليرى العقد يتدلى من أصابعها. فوقف مبهوتًا لحظة ثم صاح:

– يا إلهي! عقد الزمرد! من أين جاء؟ فأجابت "**نورين**":

– "**بيرسي**" وجده في جيب بنطلونه، وقد قلت له رأيي، وهو أن شخصًا ما قد وضع العقد في جيبه.

– ومن الشخص؟

– تلك الحسناء الأجنبية طبعًا، لا أحد كان باستطاعته أن يفعل ذلك سواها.

– نعم.. إنها هي دون شك. فصاح "**بيرسي**" فجأة:

– كلا.. فحملق "**بوب**" إلى وجهه مدهوشًا، وقال:

– العقل والمنطق يقولان ذلك يا بني.

– كلا.. لا أصدق.. لا أصدق.. فتنهدت "**نورين**" وقالت:

– كلكم سواء في السذاجة والغباء أيها الرجال.. آه.. ها هي الحسناء الفاتنة.

*****

وأقبلت الفتاة تتهادى.. ولم يكن جسدها مبتلا، ولكن "**بيرسي**" كان على استعداد لأن يفعل أي شيء من أجلها. قال:

– هل آتيك بمنشفة؟ فابتسمت له ابتسامة فاتنة وأجابت:

– أشكرك.. كان الماء باردا فلم أنزل إلى البحر.. مددت أصابع قدمي إلى الماء هكذا. ومدت ساقها الجميلة إلى الأمام واستطردت قائلة:

– وجدت الماء باردا فقلت لنفسي.. كلا.. إن... وهنا وقع بصرها على العقد، فصمتت لحظة ثم قالت بصوت يختلف تمامًا عن الصوت الموسيقي الذي ألفوا سماعه منها:

– آه.. هذا عقدي. فهتف "**بوب**":

– عقدك؟!

– طبعًا.. إنه عقدي. فقال "**بيرسي**":

– لكن.. إنه مسروق. فضحكت وقالت:

– آه.. فهمت.. أتعتقد أنه العقد المسروق؟ كلا.. إنه عقدي.. وهو عقد زائف. واختطفت العقد من يد "**نورين**" بسرعة، ووضعته حول عنقها واستدارت لـ "**بيرسي**" وقالت:

– ما رأيك؟ أليس جميلا؟ ثم سألت "**نورين**":

– أين وجدته؟ فقال "**بيرسي**":

– إنه كان في جيبي. فدهشت الحسناء وهتفت:

– في جيبك؟ أنت أخذته؟ لكن لماذا؟

– أنا لم آخذه. فقالت برفق:

– آه.. فهمت.. لم تعرف أنك أخذته.. نعم.. إنني سمعت عن الكلبتومانيا.. إنه مرض ولا حيلة لك فيه.. على كل حال، قد عاد إليّ عقدي.. وسنعتبر الموضوع منتهيًا.. قالت ذلك ودارت على عقبيها وهمت بالانصراف، فصاح "**بوب**" وقد انقلبت سحنته:

– كلا... لا تذهبي..

– ماذا تعني؟

– لن أسمح لك بالاستيلاء على هذا العقد. وفجأة.. تعلقت عينا "**بيرسي**" ببنطلون "**بوب**".. ثم تحولتا إلى بنطلوني وصاح:

– مهلا.. مهلا.. كانت معي سجائر في بنطلوني.. إنني ارتديت بنطلونك.. وأنت ارتديت بنطلوني.. لقد كان العقد في جيب بنطلونك. فقال "**بوب**" للحسناء مهددا:

– أعطيني هذا العقد.. وبسرعة.. فأجابته دون تردد:

– كلا.. لن أعطيك إياه. وبأسرع من لمح البصر، مد "**بوب**" يده وانتزع العقد

من عنقها وأطلق ساقيه للريح.. ولكن الحسناء مدت قدمها أمامه بخفة، فتعثر وسقط على الأرض وأفلت العقد من يده.. وفي نفس اللحظة.. أقبل المفتش "**فولي**"، وتبعه السيد "**سومرنر**" بعد قليل.. واشتدت الجلبة فجأة وتكلم الجميع في وقت واحد. قال المفتش وهو يلتقط العقد:

– ابق حيث أنت أيها السيد.. ولا تحاول الفرار. وصرخ "**بوب**":

– آه.. ركبتي. وقالت الحسناء بالإنجليزية السليمة الخالية من كل لكنة أجنبية:

– كان العقد في جيب بنطلونه الذي ارتداه السيد الآخر خطأ. وقال "**سومرنر**":

– يا إلهي! ماذا يجري هنا..؟ وقالت "**نورين**":

– الحق أنني لا أفهم شيئا.. لقد وجدنا العقد يا "**آرثر**".. العقد الذي سُرق من الليدي "**بيكمان**".. يبدو أنه كان في جيب "**بوب**".. فصاح "**بوب**":

– هذه مكيدة.. أقسم أنها مكيدة.. فقالت "**نورين**":

– الحق أنني لا أصدق ما أرى.. فصاح "**سومرنر**":

– يا إلهي! أيمكن هذا؟ ونظر المفتش إلى "**نورين**" وقال:

– هل تعرفين هذا الرجل معرفة وثيقة؟ وأشار إلى "**بوب**". فأجاب "**سومرنر**":

– إننا عرفناه هنا.. منذ نحو أسبوع. وقالت "**نورين**":

– إنه يقيم معنا في نفس الفندق. وقال "**سومرنر**":

– كان يبدو شابًا لطيفًا، وكنا نخرج معًا. وقالت "**نورين**":

– يا إلهي! إنني لا أصدق أنه لص فنادق. فصاح "**بوب**" وهو ينهض واقفًا:

– هناك خطأ ما..أقسم أنها مكيدة.. وأن شخصًا ما دس العقد في جيبي.

فقال له المفتش:

– تستطيع أن توضح ذلك في مركز الشرطة.. هلم معي.. ثم ربت كتف "**بيرسي**" وقال:

– أحسنت يا فتى.. يُخيَّل إليَّ أنك ستظفر بالجائزة. فقال "**بوب**":

– هذا ليس بنطلوني. فقال "**بيرسي**":

– صبرا لحظة. وخلع البنطلون وقدمه إلى المفتش وقال وهو يشير إلى الحسناء:

– يهمني أن تكون على يقين بأن هذه الفتاة ليس لها ضلع في السرقة. فابتسم المفتش وقال:

– أظن أنه يحسن بي أن أعرفك إليها.. هذه الآنسة.. هي الشرطية "**أليس جونز**". والتفت إلى الفتاة وقال:

– أحسنت يا آنسة "**جونز**".. إنك أجهزت عليه بحركة بسيطة من قدمك.

– شكرًا لك يا سيدي المفتش. وما إن تم تبادل البنطلونين بين "**بيرسي**" و"**بوب**" حتى عادت السيدة "**جانر**" والسيدة "**كرام**"، وزوج هذه الأخيرة ووقف الثلاثة مشدوهين لا يدركون شيئًا مما يقع تحت أبصارهم. وأخيرًا تأبط المفتش ساعد "**بوب**" وانصرف به بينما وقف "**بيرسي**" يحملق إلى وجه حسنائه ويتمتم:

– "**أليس جونز**".. الشرطية. فقال "**سومرنر**" يحدث الشرطية:

– الحق أنك نجحت في خداعنا جميعًا. وقال "**بيرسي**":

– لكن.. لا يبدو عليك أنك شرطية. فأجابت:

– ذلك هو المفروض.

– وماذا ستفعلين بعد ذلك؟

– لقد أديت عمل اليوم وحق لي أن أستريح.

– أصغي إليَّ.. هل تتناولين معي طعام العشاء ثم نقضي السهرة بعد ذلك في

السينما؟

– ليس أحب إليَّ من ذلك.. إنما ينبغي لي أولاً أن أرتدي بعض الثياب. وانطلقت إلى كبينتها وأغلقت بابها.. وشيعتها السيدة "**كرام**" ببصرها ثم هزت رأسها وقالت:

– شرطية بالبكيني! وصاحت السيدة "**جانر**" وهي تتهالك على مقعدها:

– "**بيرسي**".. ما معنى كل هذا؟ ماذا حدث هنا؟ فأجاب الشاب:

– لقد وجدت عقد الليدي "**بيكمان**" يا أماه. فقال "**جورج**":

– أحقًّا؟ هذا معناه أن ألفًا من الجنيهات ستدخل جيبك.. كم أتمنى أن تسمح لك أمك بإنفاقها! فهتفت السيدة "**جانر**":

– ألف جنيه. فقال "**جورج**":

– لا شيء يشعر الإنسان بالاستقلال مثل المال! فقال "**بيرسي**":

– أنا الآن لا أفكر في المال، وإنما أفكر في الآنسة. فقالت الأم:

– ماذا قلت لتلك الفتاة يا "**بيرسي**"؟

– طلبت إليها أن تتناول العشاء معي.

– هراء.. إنك لا تستطيع أن تفعل ذلك لأنك لا تعرفها.

– سأزداد معرفة بها متى تناولنا العشاء معًا. فقال "**جورج**":

– أنا واثق بذلك. فقالت الأم وهي تسترخي في مقعدها:

– لقد انفعلت اليوم أكثر مما يجب، وبدأت أشعر بصداع قاتل. تنهدت "**نورين**" وقالت:

– أظن أنه يحسن بنا أن ننصرف.. مازلت لا أصدق أن "**بوب**" لص فنادق.. هلم بنا يا "**آرثر**". فأجابها زوجها:

– اذهبي أنت يا عزيزتي.. وسألحق بك بعد لحظة.. ومرت "**نورين**" بـ"**بيرسي**" وغمزت له بعينيها وهمست:

– تشجع يا "**بيرسي**".. وامض في طريقك إلى النهاية. وانصرفت. فقالت السيدة "**كرام**":

– تعال يا "**بيرسي**" وانظر إلى ما أصاب أمك.. إن لونها لا يعجبني. فاقترب الشاب من أمه وسألها:

– هل أنت بخير يا أماه؟ فتمتمت الأم:

– قلبي يا ولدي.. قلبي يؤلمني. فقال "**جورج**":

– نفس المناورة.. وخرجت الحسناء من الكبينة وقالت وهي تغلق بابها:

– هأنذا على استعداد. فقال "**بيرسي**" متلعثما:

– أنا آسف يا آنسة.. يبدو أن أمي تشعر بوعكة. وتأوهت الأم وقالت:

– لا أريد أن أكون عبئًا عليك يا ولدي العزيز.. ولكني في الواقع أشعر بدوار.. ثم نظرت إلى الحسناء وقالت:

– أنا آسفة يا آنسة.. فقالت الحسناء:

– الآنسة "**جونز**".. "**أليس جونز**".

– أنا آسفة يا آنسة "**جونز**".. ولكني أشعر بصداع ودوار.. وأكاد أفقد وعيي. فقالت الحسناء:

– هذا أمر يؤسف له حقًا.. ولكن يبدو أنك تحتاجين إلى الراحة التامة.. والرجال لا فائدة منهم في مثل هذه الحالة.. تعال يا "**بيرسي**".. ودع أمك تستريح.

– أماه... فأغمضت الأم عينيها وهمست:

– يا ولدي العزيز! فقالت الحسناء وقد فرغ صبرها:

– هل سأنتظر طويلاً؟ فتمتم الشاب بتردد:

– إنني.. إنني...

– وداعا إذن.. وابتعدت مسرعة.. فصاح "**بيرسي**":

– صبراً يا آنسة "**جونز**". ثم التفت إلى السيدة "**كرام**" وقال:

– هل لك أن تعني بأمي! فصاح "**جورج**":

– أحسنت يا بني.. أحسنت. وانطلق الشاب في أثر الحسناء.. فاعتدلت الأم في مقعدها وقالت بغيظ:

– ما كنت أريد أن أعيش لأرى هذا اليوم.. وأرى ابني يتركني بنذالة ليلحق بشرطية بغيضة. فقالت السيدة "**كرام**":

– إنني أرثي لك حقًّا أيتها العزيزة.

– لا أريد أن أبقى هنا لحظة أخرى.. سأعود إلى البيت ولو زحفًا على يدي وركبتي.

– سأرافقك فلا تنزعجي.

– إنني لا أعرف ماذا أصاب "**بيرسي**" لكي يتغير هكذا فجأة. فقال "**جورج**":

– أنا أعرف. وقالت زوجته:

– أغلق الكبائن يا "**جورج**" ثم الحق بنا. وابتعدت المرأتان، وساد الهدوء. وبعد لحظة، نهض "**سومرنر**" واقفًا.. وأجال البصر حوله، ثم سار على قدميه دون أن يتوكأ على عكاز، وركع بجوار القصر الذي شيدته "**نورين**" من الرمال فدس يده فيه، وأخرج منه عقداً قدمه إلى "**جورج**" وهو يقول:

– هو ذا العقد أيها الصديق. فتناول "**جورج**" العقد وفحصه بعيني خبير ثم سأل:

– والعقد الآخر؟

– إنه زائف.. وصورة طبق الأصل من هذا العقد.. لم تسنح لي الفرصة لوضعه في غرفة الليدي "**بيكمان**" بدلا من العقد الحقيقي؛ لأن الوصيفة اللعينة عادت قبل موعدها المعتاد.. أما وضع العقد في جيب "**بوب**" ففكرة "**نورين**"، وهي التي قامت بتنفيذها.

– مسكين "**بوب**".

– لا تأسف عليه.. فقد كان وقحًا.. وكان يحتاج إلى درس.. ثم إنه من أرباب السوابق.

– أما نحن فإننا قوم شرفاء.. أنا جوهري محترم لا يبدو عليه أبدًا أنه يتجر في المجوهرات المسروقة.

– وأنا كهل وقور لا يبدو عليه أبدًا أنه لص فنادق.

العمة "جوديث" تطرز

جلس "**ترنت**" في اليوم التالي بعد وليمة العشاء التي أعدها في الاستديو ودعا إليها المفتش "**بلاي**" والدكتور "**برايان فيرمان**"، وعمته "**جوديث**" التي وصلت بالطائرة من "**روما**" بعد أن سئمت– على حد قولها– ذلك العالم الآخر العجيب الواقع في الجانب الآخر من بحر المانش. وجلست العمة تطرز قطعة قماش، بينما شرع الرجال الثلاثة يدخنون بعد أن أستأذنوها في ذلك.

وأخيرًا قال المفتش "**بلاي**":

– إنه يلزم الصمت تمامًا بعد أقواله التي تفوه بها هنا يا "**ترنت**"، وليس هذا بعجيب بعد الذي عاناه من ذلك «الشبح».. لقد كنت يا عزيزي "**ترنت**" في

شك من نجاح هذه الخطة.. وقد ظل المسجل الرسمي الذي كان مختفياً في الغرفة المجاورة لا يدري شيئًا مما سيحدث حتي رأى- وما كان أشد فزعه- السيد "**جيمس**" الصغير يدخل علينا في هيئة أبيه وثيابه.. الواقع أنه ممثل ناجح، ويبدو لي أنه استمتع بهذا الدور إلى حد كبير.. حسنًا ولكن المسجل بدأ يفهم كل شيء عندما سمع "**فارني**" يصيح معترفًا بجريمته لهول ما رأى.

فقال "**ترنت**" مبتسمًا:

- الحقيقة أنه كان للحظ أثر كبير في كل ما حدث.. وأنا نفسي لم أكن أتوقع أن يعترف "**فارني**" بمثل هذه السهولة.. إنه شخصية خطرة جداً.. وأعتقد أنه من الأشخاص القلائل الذين يقتلون القتيل ويشيعون جنازته.. وإني لأرجو أن يدان ويشنق، وإلا فإن حياتي ستظل في خطر شديد إذا حكم عليه بالسجن وأمضى مدة العقوبة ثم خرج إلى العالم حرًّا مرة ثانية.

فقال "**بلاي**" وهو يشيح بيده:

- اطمئن من هذه الناحية.. إن القانون لا يغفر للقاتل الذي يقتل رب نعمته بهذه الطريقة الدنيئة.. ولكن، لا شك في أن الدكتور "**فيرمان**" وعمتك الآنسة "**جوديث**" وأنا أيضًا نحب أن نسمع الأسباب التي جعلتك تشك في أمره.

فقال "**ترنت**":

- لقد أخبرت عمتي وصديقي بكل ما حدث- تقريبًا- قبيل زيارة "**سيمون رات**" الخفية في ذلك المساء.

فدمدم "**بلاي**" قائلا:

- آه.. ذلك المجرم الخطير اللعين.. إن دمائي تفور كلما ذكرت أنه كان مختفيًا مدة ثلاثة أيام تحت أنفي...

فقالت الآنسة "**جوديث**" معترضة:

– لا.. لا.. لقد مات المسكين، دعوه ليستريح في قبره، نعم.. حتى ولو أنه قتل ذلك الرجل الذي كان مكروهًا من الجميع...

فقال "**ترنت**" مؤمنًا على عبارتها:

– حسنًا.. حسنًا.. لقد انتهى كل شيء الآن.. أقول إن "**سيمون رات**" زارني خلسة بعد وقوع الجريمة ببضعة أيام وأخبرني بالمكان الذي كان يختفي فيه والذي يطل على منزل سيده، ثم أخبرني بأمر ذلك الرجل الذي دخل منزل السيد "**راندولف**" بعد السابعة بقليل أي في الوقت الذي حدثت فيه الجريمة، وكانت هذه المعلومات هي الومضة الأولى التي جعلتني أشك في أمر السيد "**فارني**"...

فصاح به المفتّش "**بلاي**":

– إنك لم تخبرني بهذا..؟!

فقال له "**ترنت**":

– لأني لم أكن واثقًا تمامًا بما ستتطور الأمور إليه.. ولكني أخبرتك على كل حال بالنقط الأساسية التي تدين الرجل.. وأحسب الآن أنكم تريدون أن تعرفوا كيف بدأت شكوكي تتحول نحو "**فارني**" وأؤكد مرة أخرى أن الحظ لعب دورًا كبيرًا في الموضوع.. فلولا زيارة "**سيمون**" لي لظلت الجريمة في غموضها حتى الآن.. حسنًا لقد أخبرني "**سيمون**" أن كل ما رآه من الزائر الليلي هو ظهره فقط، وأنه لاحظ عليه أنه «جنتلمان» وأنه في ثياب ومعطف السهرة ويرتدي قبعة عالية لامعة، وأنه كان يرتدي كوفية بيضاء تبدو حافتها حول ياقة المعطف من الداخل، وأنه لم يسمع وقع خطواته وهو يسير على أرض المدخل المرصوفة، وأن الباب صفق بشدة عند خروجه بعد أن مكث في منزل "**راندولف**" نحو عشر دقائق أو ربع الساعة..

تلك هي المعلومات التي حصلت عليها من "**سيمون**"..

فقال الدكتور "**فيرمان**":

– حسنًا.. إن هذه المعلومات لا تؤدي إلى شيء قط.. ففي "**لندن**" ألوف وألوف من الرجال الطوال العراض الذين يرتدون ثياب السهرة والكوفية البيضاء والقبعة اللامعة العالية.. و..

فابتسم "**ترنت**" وقال:

– حسنًا.. حسنًا.. أنا لا أنكر هذا، لقد نسيت أن أقول أيضًا: إنه لم يكن يحمل في يده أية حقيبة أو أي شيء آخر...

فقال المفتش "**بلاي**":

– هذا مما يزيد الأمر تعقيداً.. إنني شخصيًّا– ولا أخجل من الاعتراف بذلك– ما كنت أستطيع أن أنتهي إلى شيء كثير من هذه المعلومات.. إن هذه الأوصاف قد تنطبق على أي واحد منا نحن الجالسين هنا..

فقالت الآنسة "**جوديث**" معترضة:

– إلا أنا بطبيعة الحال..

فابتسم الدكتور "**فيرمان**" للغمزة الرائعة بينما قال "**ترنت**":

– نعم.. نعم أنا معك.. ولكني أحب أولا أن أقول إن الأشخاص الذين تنحصر الجريمة فيهم معدودون. فأنا كنت على موعد مع "**راندولف**"، ودكتور "**فيرمان**" ذهب لزيارته في ذلك اليوم، ولم يكن هناك أي دليل على أن "**سيمون رات**" هو القاتل وإلا لما تجرأ وأقبل يزورني ليطمئن على أن اعترافه لم يصل إلى إدارة البوليس، وخادمة المنزل لم تكن موجودة أثناء اليوم كله، وكان القتيل ينتظر حضور السيد "**فارني**" في أية لحظة دون تحديد موعد، كما كان

مع هذا الأخير مفتاح خاص يدخل البيت به بغير استئذان، ثم هناك أيضًا السيد "**يوجين دثريل**" الراحل و"**إينيس فافيل**" .

فضحك "**فيرمان**" وقال:

– معقول جدًا.. إن "**إينيس**" ممثلة ماهرة ويمكنها أن تتنكر في ثياب سهرة الرجال، ولكنها ليست طويلة، ولا عريضة الكتفين..؟

فقال "**ترنت**" مستطردًا:

– هذا لا شك فيه.. ويمكننا أن نخرج "**يوجين**" من الموضوع بالمثل لشيء واحد.. وهو أنه يرتدي دائمًا قبعة بنية اللون من النوع الرخو مع ثياب السهرة.. وهو يرتديها عنادًا وتحديًا للمجتمع الذي ينفر من هذه الطريقة في ارتداء ثياب السهرة.. ولقد رأيته في هذه الثياب وهذه القبعة في نحو الثامنة إلا الربع بباب نادي "**كاكتاس**" ليلة وقوع الجريمة، ولا أعتقد أنه ارتكب الجريمة وذهب وغير قبعته فقط ثم أقبل إلى النادي بتلك الروح الضاحكة الساخرة؛ لهذا كله أخرجت "**يوجين**" من دائرة الاتهام، وكذلك أخرجت نفسي طبعًا، وكذلك صديقي "**فيرمان**" .. وإن كنت قد أخرجته مؤقتًا في ذلك الحين حتى أنتهي إلى نتيجة في شكوكي حول "**فارني**" ..

فقال المفتش "**بلاي**" :

– هذا لا بأس به.. ولكن مجرد الشكوك لا يكفي..

– نعم.. ولكنك تعرف يا صديقي بحكم خبرتك أن الإنسان إذا وضع قدمه في أول خطوة على الطريق المؤدي للحقيقة فلن تلبث أن تتلوها– آليًّا– خطوات أخرى تنتهي به إلى الحقيقة نفسها.. وهذا ما حدث فعلا.. فما كادت شكوكي تتحول إلى "**فارني**" حتى ذكرت أنه أخبرني في الصباح التالي

لوقوع الجريمة أن القاتل أطلق الرصاص على ظهر القتيل.. لقد قال هذه الجملة في عبارة عابرة دون أن يشعر. ولقد تذكرت بعد ذلك أن الصحف لم تذكر وصف وقوع الجريمة. كما تأكدت منك بأنك لم تخبر "**فارني**" بهذه المسألة عند زيارتك لسؤاله في الصباح.. فكيف عرف إذن بها؟

هذه هي الخطوة الأولى نحو الحقيقة.. أما الخطوة الثانية فقد عرفتها بطريق المصادفة وأنا أنصت إلى حديث بعض الشبان في معهد "**راندولف**" الرياضي... فعلمت أن موعد سباق الجري في شوارع "**لندن**" قد تغير خلال الشهر الأخير فجعل في يوم الأربعاء بدلا من الخميس. لماذا؟! لأن يوم الأربعاء هو يوم إجازة "**سيمون رات**" الأسبوعية حيث يبقى السيد "**راندولف**" بمفرده من الظهر إلى نحو الثامنة مساء، ولسبب آخر، وهو أن السيد "**راندولف**" قد حدد لي موعداً لمقابلته بشأن رسم صورة ثانية في نفس ذلك اليوم.

فقال "**بلاي**":

– هل تعني أن "**فارني**" قد استطاع أن يرتدي ثياب السهرة وهو يعدو مع الشبان في شوارع "**لندن**" ثم يخلعها عنه في نصف ساعة..؟! إنني متحير لهذه المسألة..!!

فقال له "**ترنت**" موضحًا:

– ليس هناك أبسط منها.. إن زيارتي للمعهد قادتني إلى الجراج الذي يضع "**فارني**" سيارته فيه، وهو جراج منزل رجل عزب يدعى السيد "**بويز**" يسكن في بيت بشارع هادئ على مقربة من المعهد.. وإن شابًا مثل "**فارني**" لقدير على تدبير أمر هذه الجريمة إلى حد يثير العجب. وإليك ما حدث تمامًا كأنني كنت معه:

عندما غادر "**فارني**" معهد السباق في ذلك اليوم، كان في الصفوف الأولى من

الراكضين، وكان في ثيابه الرياضية وحذائه المطاط طبعا، فلما ابتعد عن المعهد لم يعسر عليه أن ينحرف في طريق جانبي حيث يسرع إلى سيارته فيرتدي منها معطف السهرة على سروال أسود فقط دون سترة أو قميص؛ لأن الكوفية البيضاء يمكن أن تغطي فتحة المعطف الأمامية كما هي العادة أحيانًا. وفي أقل من عشر دقائق وصل بالسيارة إلى مقربة من بيت السيد "**راندولف**"، ولما كان يرتدي حذاءه المطاط لم يكن لخطواته وقع، وهناك تسلل إلى بيت الثري وفتح الباب بمفتاحه الخاص وفاجأ الرجل وهو يخلع معطفه فقتله، ثم عبث بالخزانة وسرق منها شيئًا يخصه، سأخبركم به فيما بعد، ولم يكن لديه وقت طبعًا لإعادة تلك الأوراق والرزم التي بعثرت إلى مكانها فتركها عن قصد، بل لقد حزَّ الخيوط التي تربطها بشفرة الحلاقة التي وجدتها بجانبها لغرض في نفسه سأطلعكم عليه أخيراً.. فلما انتهى من هذا غادر البيت وأغلق الباب وراءه، ولم يدر بخلده أن "**سيمون رات**" كان يغازل صديقة له فرأى ظهره وهو يدخل البيت، وسمع صفق الباب وهو يغادره. حسنًا.. ولم يكن أسهل عليه بعد ذلك من العودة بالسيارة إلى الجراج حيث خلع المعطف والسروال والقبعة وتريث حتى أقبلت الصفوف الأخيرة من الشبان المتسابقين وقد أكملوا رياضتهم فاندمج بينهم ودخل المعهد معهم..

فابتسم "**بلاي**" وقال:

– نعم.. لقد أخبرتني بهذه النقطة وطلبت إليّ أن أسأل المتسابقين، فقال الذين رأوا "**فارني**": إنهم رأوه وهو يغادر المعهد معهم، ثم وهو يعود، ولكن أحداً منهم لم يستطع أن يقول: إنه شاهد "**فارني**" أثناء فترة السباق أي في المدة التي انقضت بين مغادرة المعهد والعودة إليه.

– نعم.. إنها فكرة بسيطة ولكنها شيطانية متقنة لا تخطر إلا على ذهن شاب في

ذكاء "**فارني**" وخطورته.

فقال دكتور "**فيرمان**" :

– أعتقد أن خطورته كانت في حظه الذي تحالف معه أول الأمر.. وإلا فماذا كان يفعل لو أن أحداً رآه وهو يخرج من البيت إلى سيارته فعرفه أو ذكر أوصافه مثلا..

فأجاب "**ترنت**" :

– أعتقد أن "**فارني**" كان متأهبًا لمثل هذه المفاجأة.. وكان حسبه أن يضع منديلا على أنفه ليتمخط حتى لا يدع للناظر إليه فرصة التحديق إلى ملامحه..

وقالت العمة "**جوديث**" مستفسرة:

– ولكنك نسيت مسألة قصاصة الورق المنتزعة من مفكرة المواعيد..

فقال لها "**ترنت**" :

– نعم.. نعم.. كنت سأذكرها في حينها.. وعلى كل حال ليس هو الذي انتزع الورقة، وإنما هو الذي وضع مفكرة المواعيد في مكان ظاهر للعيان على المنضدة الأنيقة الموضوعة في غرفة المكتب.. وكان حريصاً في هذا كله حتى لم يترك وراءه بصمة أصبع واحدة تدل عليه..

فقال المفتش "**بلاي**" :

– إن مسألة مفكرة المواعيد كانت أكبر غلطة ارتكبها.. حسناً.. إنك لم تخبرني يالتفصيل عن سر وجود شفرة الحلاقة التي تحمل بصمات أصابعك في غرفة الجريمة..

فابتسم "**ترنت**" وقال:

– أجل.. إن هذه الناحية كانت من النواحي التي أذهلتني وكادت تفقدني رشدي، ولكن إجابة عابرة لـ "**سيمون**" عن سؤال لي جعلتني أضع يدي على

أول الخيط فضلا عن إجاباته الأخرى، لقد سألته قبل أن يغادرني عن نوع شفرات الحلاقة التي كان يستعملها السيد "**راندولف**" فقال: إنه كان يستعمل طرازًا يسمى "**أورك**" ثم استبدل به طرازًا حديثًا يسمى "**إسواجو**" .. ولما كنت أعلم أثناء زيارتي للسيد "**راندولف**" بمدينة "**برنتون**" أن "**فارني**" هو الذي يقترح عليه مثل هذه الاقتراحات كرسم صورة ثانية له يضعها في المعهد، وكالقيام بزيارة هذه المؤسسة أو قبول هذه الدعوة أو رفض تلك، لم يخامرني شك في أنه هو الذي اقترح على السيد "**راندولف**" استبدال طراز الشفرات العتيق بطراز حديث لغرض في نفسه، وهذا الغرض هو محاولة إدانتي باطلا بتهمة قتل السيد "**راندولف**"، وذلك لأني كنت- مازلت- أستعمل طراز هذه الشفرات نفسها.

فقال السيد "**بلاي**" وهو ينفث دخانه بشدة:

- هذه هي الناحية التي تثير أشد العجب في نفسي.. إنني أعرف أن علاقتك به عابرة، فما الداعي لهذا كله..؟ بل ما الداعي لأن يقتل رجلا يهيئ له عملا رائعًا ومركزًا يحسد عليه؟

وتركت الآنسة "**جوديث**" قطعة التطريز من يدها كأنما أرادت أن تركز سمعها فيما سيدلي به "**ترنت**". ولم يلبث هذا أن قال:

- هل تذكر يا عزيزي "**بلاي**" أني أخبرتك مرة بأني كنت قد رأيت "**فارني**" في مدينة "**مونت كارلو**" على مائدة الميسر..

- نعم أذكر هذا جيدًا.. لقد كنا نتحدث معًا عن بعض تصرفات السيد "**راندولف**" الشاذة كثري محسن أمام الناس، وكبخيل شديد في المعاملة مع أخصائه..

فقال "**ترنت**" :

- نعم.. فعندما زرت السيد "**راندولف**" لأرسم صورته الأولى في مدينة "**برنتون**" ورأيت "**فارني**" هناك وأخبرته- أمام مخدومه- بأني أذكر أني رأيته منذ ثلاثة أعوام في مدينة "**مونت كارلو**". عندما قلت له هذا شحب وجهه، ولكنه أنكر هذا القول إنكارًا باتًا حازمًا بألفاظ هادئة لا أثر للاضطراب فيها.. ولكن السيد "**راندولف**" - رغم ذلك- أخذ يعامله في حذر. ولعله أردف هذه المعاملة بإعادة النظر في حسابات المؤسسات والتفتيش على أوجه الإنفاق عليها تفتيشًا دقيقًا صارمًا..

فقال المفتش "**بلاي**" متدخلا:

- نعم.. لقد تحريت- بناء على رأيك- في هذا الموضوع، فظهر أن "**فارني**" قد ارتكب سلسلة من جرائم اختلاس أموال من المؤسسات تكفي للحكم عليه بضع سنين...

فقال "**ترنت**" :

- هذا ما خطر لي عندما بدأت شكوكي تتجه نحو "**فارني**"... لماذا يقتل السكرتير رئيسه والمحسن إليه والمنعم عليه..؟ لابد من وجود سبب قوي.. وليس هناك أقوى من الشعور بأن مصير الإنسان في قبضة رجل معين يستطيع في أية لحظة أن يدمر حياته إذا شاء.. وليس لدي شك في أن السيد "**راندولف**" قد عرف بأمر الاختلاس وأنه أرغم "**فارني**" على كتابة اعتراف بالجريمة- كعادته مع كل من يقعون في يده- ثم أودع هذا الاعتراف في خزانته حتى يضمن ولاء وإخلاص "**فارني**" في المستقبل.. وتلك طريقة شيطانية في السيطرة على الأتباع.. وإذا كان رجل مثل "**سيمون**" أو مثل..

والتفت إلى دكتور "**فيرمان**" وقال مستطرداً:

- أو مثل "**داللو**" مثلا قد خضع صابراً لإجراء كهذا، فإن شابًّا مثل "**فارني**" لا يمكن أن يخضع أو يصبر على أن تبقى حياته مهددة بهذا الشكل.. وبذلك بدأت فكرة الجريمة تختمر في ذهنه، ولا غرو إذا رأى أن يلقي الاتهام فيها على الذي أثار بعبارته العابرة شكوك السيد "**راندولف**" في أمانته.. وهذا الرجل هو أنا طبعاً.. وسر الشكوك هو تردد "**فارني**" على مدينة مثل "**مونت كارلو**"...

فقال "**بلاي**":

- لقد علمت في هذا الصباح فقط من أحد مساعدي أن "**فارني**" كان يتردد خلسة على أحد نوادي المقامرة بـ"**لندن**"، ولا شك أنه اختلس الأموال ليقامر، وكلما خسر أمعن في الاختلاس على أمل تعويض الخسارة، أو لعل مدير النادي كان يعرف مصدر هذه الأموال فأخذ يرغمه على مواصلة المقامرة وإلا فضح أمره، هذا كما أخبرني المساعد بأنهم وجدوا في مسكنه حذاء رياضة أسود من المطاط..

فقال دكتور "**فيرمان**" مدهوشاً:

- يا للهول!.. أهناك نوادٍ للمقامرة ترغم المقامرين هكذا على مواصلة اللعب؟!

فهز المفتش كتفيه وقال:

- بل هناك ما هو أفظع من هذا بكثير.. لقد أمضيت معظم حياتك في الأبحاث والتجارب العلمية، وبذلك لم يتسن لك أن تقف على شيء مما قد تهبط إليه النفس الإنسانية..

ثم التفت إلى "**ترنت**" وقال:

- حسناً أيها الشيخ العزيز.. أتمم.. عليك اللعنة، لقد فضحتني..

فابتسم "**ترنت**" وقال:

– لا تنس أن الحظ لعب معي دوراً كبيراً.. حسناً.. لقد بدأت تختمر فكرة الجريمة في ذهنه، كما رأى أن يلقي بالاتهام على شخصي، ولا شك أنه انتهز فرصة زيارتي الثانية لـ "**برنتون**" فحصل على شفرة مستعملة من شفراتي، ولعله انتهز فرصة دخولي الحمام بعد الحلاقة فالتقط الشفرة ووضع مكانها أخرى من نفس النوع حتى لا أكتشف ضياعها في ذلك الوقت، أو أذكر ضياعها عندما تظهر حقيقة بصمة الأصابع الموجودة على الشفرة التي كانت في غرفة القتيل..

فتمتمت الآنسة "**جوديث**" :

– يا له من شخص لا ضمير له!..

واستأنف "**ترنت**" :

– وبعد ذلك أخذ يلح على السيد "**راندولف**" في أن يدعوني لأرسم له صورة ثانية توضع في المعهد الرياضي، ولا شك أنه علم بالموعد الذي حدده "**راندولف**" لزيارتي له.. وهنا يلعب الحظ دوره مرة أخرى.. فيجعل هذه الدعوة تقع في يوم إجازة الخادم الأسبوعية..

فقالت الآنسة "**جوديث**" له:

– إذن فلم تذهب إليه من تلقاء نفسك لتتفاهم معه في موضوع "**إينيس**" .

فأجاب "**ترنت**" :

– لا.. لم يكن هذا ممكناً قبل أن يسبقه تحديد موعد للمقابلة، ولذلك انتهزت الفرصة وتحدثت معه في موضوع "**إينيس فافيل**" تاركاً مسألة الصورة لوقت آخر..

فقال "**بلاي**" :

– ومع ذلك حسب الملعون "**سيمون**" أن زيارتك كانت للمناقشة في رسم الصورة..

فقال "**ترنت**":

ـ نعم.. وهنا يلعب الحظ، الحظ المعكوس دوراً آخر.. لقد كان "**فارني**" يعتمد في تدبير الجريمة على انفراد السيد "**راندولف**" بالبيت أثناء زيارتي له.. لم يكن يقدر أن "**سيمون**" قد يبقى في غرفته بالطابق الأرضي لسبب من الأسباب حتى يراني وأنا أزور سيده، ثم يراني أغادر المكان وسيده صحيح معافى يشيعني حتى الباب في غضب..

فسأله "**بلاي**":

ـ ولكن اللعين لم يذكر لي أنه رأى سيده وهو يشيعك غاضباً..

ـ لقد بدا يتحفظ في حديثه معك عندما ذكّرته بالفترة التي قضاها في السجن.. مع أن "**فارني**" لم يكن يتوقع هذا.. ولذلك كانت دهشته بالغة حد الفزع عندما جاء إلى مسكني في صباح اليوم التالي ووجدني واقفًا في النافذة.. لقد خطر لي في ذلك الوقت أنه رأى عفريتًا، ولم يدر بخلدي سر فزعه حتى بدأت الحقائق تتكشف لي.. وأخيراً أقبل عليّ يحدثني بأمر الجريمة، يسألني عما إذا كنت قمت بزيارة السيد "**راندولف**" قبيل وقوعها أم لا.. لقد بدأ يشك في أنني لم أذهب مطلقًا.. فلما علم أني ذهبت سألني عن سبب المقابلة، فأخبرته أنها كانت تتعلق بموضوع الصورة ولا شيء آخر. وذلك طبعًا للحرص على سمعة "**إينيس فافيل**"..

ثم أمسك برهة عن الحديث، قال بعدها:

ـ هذا تقريبًا هو كل شيء.. وأنا أؤكد لك يا عزيزي "**بلاي**" أن التحليل الدقيق سيثبت أن شفرة الموسى التي تحمل بصمات أصابعي هي نفسها التي قطعت الخيوط عن لفائف الأوراق.. إن رجلا مثل "**فارني**" لن يهمل هذه الناحية، وأعتقد أنه

بذل مجهوداً كبيراً خارقًا ليستعمل الشفرة في هذا السبيل دون أن يمحو البصمات التي عليها، هذا طبعًا بعد أن أخفى الشفرة الأصلية التي وضعها "**سيمون**" في آلة الحلاقة.

فنهض المفتش وصافح "**ترنت**" وربت كتفه وقال:

- إنني- برغم كل شيء- لسعيد بعودتك إلى محيطنا هاويًا لبقًا.. وأرجو ألا تهجرنا مرة أخرى.

فضحك "**ترنت**" وقال:

- هذا يتوقف على.. رأي زوجتي.. وعلى ما لدي من وقت فراغ..

ولما غادر "**بلاي**" المكان، التفت "**ترنت**" إلى صديقه "**فيرمان**" وقال:

- ما رأيك في عطلة أسبوع تقضيها بمنزلي الريفي في "**دادبري مانور**".. هناك مفاجأة في انتظارك، وحسبك أن تعلم أنها شخصية..

ثم توقف عن الحديث ونظر إلى عمته وعاد فاستطرد باسمًا:

- شخصية لطيفة، كانت شديدة القلق عليك، وما كدت أخبرها بأني أسعى لإثبات براءتك حتى أفضت إليّ بكل ما تعرف في الموضوع، ثم أبدت استعدادها لعمل المستحيل في سبيل إنقاذك.. وأعتقد أنها ستكفر كثيراً عن الآلام التي سببتها لك...

تمت بحمد الله

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها...

سارع في إرسال طلبك !

1	ابنة الفراعنة	23	جريمة على ضفاف النيل
2	جريمة الفندق	24	الجرائم الثلاث
3	أخطاء القضاء	25	جريمة في بيت الطالبات
4	أدلة الجريمة	26	جريمة في الجو
5	الإرث الدامي	27	جريمة في الصحراء
6	أصابع الاتهام	28	جريمة في قطار الشرق
7	امرأة خطرة	29	جريمة قتل
8	بصمات الأصابع	30	الجريمة الكاملة
9	بواعث الجريمة	31	امرأة في مأزق
10	بيت الأهوال	32	الجريمة المستحيلة
11	التضحية الكبرى	33	الجريمة المعقَّدة
12	الثلوج الدامية	34	الشاهدة الوحيدة
13	الجثة التي اختفت	35	جزيرة الموت
14	الجثة الثانية	36	جنون الانتقام
15	جثة في المكتبة	37	الحادث
16	الجريمة الأخيرة	38	الحب الذي قتل
17	جريمة أم	39	الرجل الرابع
18	جريمة فنية	40	ذات القناع الأسود
19	جريمة بلا شهود	41	ذات الوجهين
20	الجريمة تدق الباب	42	رجل بلا وجه
21	اللغز المثير	43	غانية باريس
22	جريمة عائلية	44	رصاصة في الرأس

45 رعب في المدينة
46 الزائر الغامض
47 ساعة الصفر
48 السر الرهيب
49 سر الجريمة
50 سر القصر الكبير
51 سر المنبّهات السبعة
52 سيدة القصر
53 شاهد للتحقيق
54 الشاهد الصامت
55 نقطة الدم
56 الشبح القاتل
57 شرخ في المرآة
58 الشيطان امرأة
59 إخناتون
60 الطائر الجريح
61 الطائرة المفقودة
62 الطيور السوداء
63 عدو بلا وجه
64 العميل السّري
65 العنكبوت
66 الفخ
67 القاتل الرابع
68 القاتل الغامض
69 القاتل والمقتول
70 قاتل المليونير
71 القصاص
72 القصر الرهيب
73 القضية الكبرى
74 الكأس الأخيرة
75 كلب الموت
76 ليل ليس له آخر
77 مأساة ذات ثلاثة فصول
78 الماضي الرهيب
79 المتهم البريء
80 المتهمة البريئة
81 المصيدة
82 مغامرات بوارو
83 الثعلب
84 الموت المقنع
85 موعد في بغداد
86 موعد مع الموت
87 نادي الجريمة
88 الوصية المفقودة
89 الجريمة المزدوجة
90 الياقوتة الحمراء
91 جريمة بلا شك
92 غريم بوارو
93 وجه من الماضي
94 خاتمة المأساة
95 الحصان الشاحب